مجلة
الليبي
The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة
الخدمات الإعلامية بمجلس النواب الليبي

السنة الثالثة العدد 34 / اكتوبر 2021

زعماء ليبيا المبجلون

صورة الغلاف

نقش على مقبرة بني حسن الفرعونية (القرنين 21 _ 17 ق.م) يوضح أحد الزعماء الليبيين وهو يرتدي زياً فاخراً ويضع على رأسه ريشة الزعامة ويتحلى بالوشم علامة النخبة في ذلك الوقت.

إن أورك باتس يرى أن هذه الألبسة المتقنة هي ألبسة مستوردة . وهذا يرجح وجود علاقات تجارية مع جزر في وسط المتوسط .

وهي علامة استفهام أخرى حول سؤال مهم يقول :

هل نعرف فعلاً كل شيء عن أجدادنا الذين مضوا .؟

المصدر : اورك باتس . الليبيون الشرقيون. منشورات دار الفرجاني. 2015.

الليبي
The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

رئيس مجلس الإدارة :

خالد مفتاح الشيخي

رئيس التحرير

د. الصديق بودوارة المغربي

Editor in Chief
Alsadiq Bwdawarat

مدير التحرير:

أ. سارة الشريف

مكتب القاهرة :

علي الحويج

مكتب تونس :

سماح بني داود

مكتب فلسطين :

فراس حج محمد

شؤون ادارية ومالية

عبد الناصر مفتاح حسين
محمد سليمان الصالحين

خدمات عامة:

رمضان عبد الونيس
حسين راضي

الإخراج الفني

محمد حسن محمد

العنوان في ليبيا

البيضاء . خلف شارع النسيم. الطريق الدائري الشمالي

عناوين البريد الإلكتروني

libyanmagazine@gmail.com

info@libyanmagazine.com

Ads@libyanmagazine.com

http://libyanmagazine.com

شروط النشر في مجلة الليبي

توجه المقالات إلى رئيس تحرير المجلة أو مدير التحرير
تكتب المقالات باللغة العربية، وترسل على البريد الالكتروني في صورة ملف وورد word، مرفقةً بما يلي :

1. سيرة ذاتية للمؤلف أو المترجم .
2. في حالة المقالات المترجمة يُرفق النص الأصلي .
3. يُفضّل أن تكون المقالات مدعمةً بصورٍ عالية الجودة، مع ذكر مصادرها .
4. الموضوعات التي لا تُنشر لا تُعاد إلى أصحابها .
5. يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقالة، تماشياً مع سياستها التحريرية .
6. الخرائط التي تنشر في المجلة هي مجرد خرائط توضيحية لا تُعتبر مرجعاً للحدود الدولية .
7. لا يجوز إعادة النشر بأية وسيلة لأي مادة نشرتها مجلة الليبي بدايةً من عددها الأول، وحتى تاريخه، بدون موافقة خطية من رئيس التحرير، وإلا اعتبر ذلك خرقاً لقانون الملكية الفكرية .

المواد المنشورة تعبّر عن آراء كتابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، ويتحمل كاتب المقال وحده جميع التبعات المترتبة على مقالته .

الليبي
The Libyan
السنة الثالثة
العدد 34 /
اكتوبر 2021

محتويات العدد

افتتاحية رئيس التحرير

أبوليوس يموت مرتين (ص 8)

شـــــؤون ليبية

الكلاب في الأدب الليبي 2 (ص 14)

الخروب الليبي .. ذهب أسود (ص 20)

تاريخ في مهب الريح (ص 24)

توظيف الأمثال في شعر عبد السلام بوجلاوي (ص 30)

شـــــؤون عربية

الدكتور عثمان أبوزيد «حوار» ص 38

شـــــؤون عربية

رسالة الأردن.. جاليري إربد المعاصر ص 42

رسالة فلسطين.. موعد مع أدباء 48 ص 44

كتبوا ذات يوم

برقة الهادئة ص 33

ترحـــــــال

مزامير الشعر العربي في إفريقيا السمراء 2 (ص 50)

الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و17م (ص 54)

شيكاغو الصين الجميلة (ص 60)

محتويات العدد

ترجمـــــــات

(ص 66) غرشوم شوليم والصهيونية الثقافية

(ص 70) قصيدة للشاعرة الأمريكية إيميلي ديكينسون

ابـــــــداع

(ص 72) 35 - 3 قراءة في مجموعة «شرفة زينب الجزار»

(ص 74) بكاء الحمام في الشعر العربي

(ص 82) حرب الغزالة

(ص 84) جنة النص

ابـــــــداع

(ص 86) ميدوسا 1

(ص 88) جدليَّة الرَّمز قراءة في قصة للكاتب خالد السحاتي

(ص 93) ضوء خافت «قصة قصيرة»

(ص 94) شارع الشجر

من هنا وهناك

(ص 97) قول على قول

قبل أن نفترق

(ص 98) رحاب شنيب

الاشتراكات

* قيمة الاشتراك السنوي داخل ليبيا 96 دينار ليبي
* خارج ليبيا 36 دولار أمريكي أو ما يعادلها بالعملات الأخرى مضافا اليها أجور البريد الجوي
* ترسل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بإسم مؤسسة الخدمات الإعلامية بمجلس النواب الليبي على عنوان المجلة.

ثمن النسخة

في داخل ليبيا 8 دينار ليبي للنسخة الواحدة وما يعادلها بالعملات الأخرى في باقي دول العالم

فاطمة موسى. ليبيا

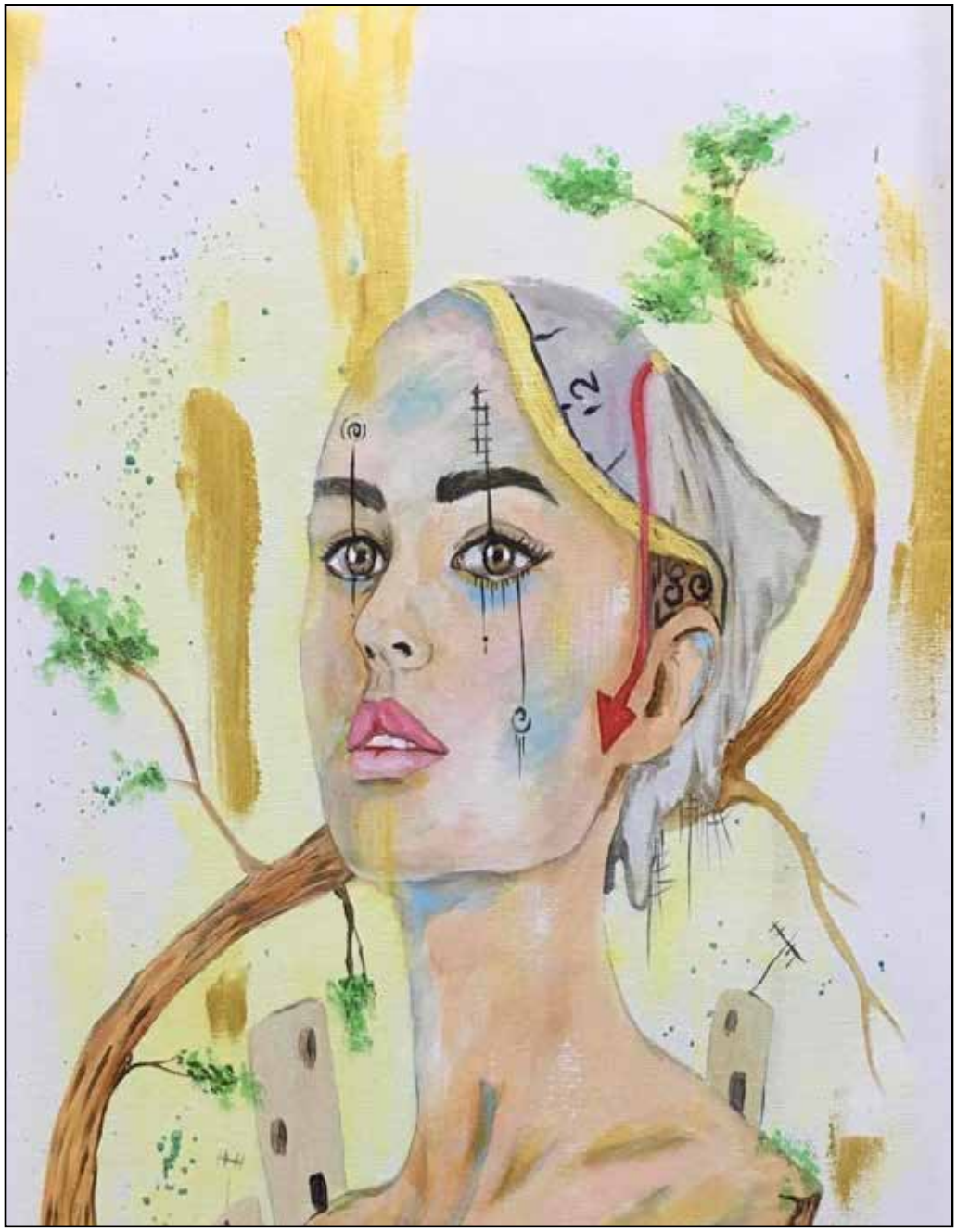

نور ملحم . الأردن

أبوليوس يموت مرتين

بقلم : رئيس التحرير

ماذا نعرفُ نحنُ عن ابوليوس ؟ وماذا نعرف عن الحِجاج ؟ وماذا نعرفُ عن مفهوم الهوية الليبية ؟ وماذا نعرف عن «الجيتول» وغيرهم ؟

باباً بعد الآخر، سأحاول أن أفتح معكم هذا الحديث في هذا العدد، وعن كل هذا معاً .

معي في هذه المقدمة سيكون الأديبُ الليبي المهم جداً «علي فهمي خشيم»، وسيكون معي كتابه الممتع : دفاع صبراتة . الكتابُ صدر عام 1974 م.عن الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، وأورد فيه «علي فهمي خشيم» الترجمة الكاملة للنص الكامل لدفاع أبوليوس المدوري في المحاكمة الشهيرة التي أجريت له في مدينة صبراتة الليبية منذ 1860 عاماً من الآن .

نعم .. منذ أكثر من 1800 عام كان في ليبيا محاكم ومحامون وقضاة .

أسلوب «علي فهمي» كان ممتعاً في السرد، لهذا سأبدأ أولاً في الاقتباس لكي نتعرف على أبوليوس ، ومن هو ؟ وكيف أرغم على هذه المحاكمة؟

أثناء هذه السرد سأطرق معكم كل الأبواب، بابَ الهوية، وبابَ المنهج، وبابَ المنطق، وكل ما يمكنُ أن يجعل العقل حاكماً على الجميع .

إنه «أبوليوس»، يقولون عنه إنه الشاعر والفيلسوف والأديب، وصاحب، أول رواية في التاريخ ، يقولون عنه إنه المبدع (الروماني) الشهير . ولاحظوا أن الروماني هذه تقع دائماً بين قوسين .

المشكلة أننا نحن أيضاً نقول إنه المبدع (الروماني) الشهير، لكن الرجل في الحقيقة هو المبدع (الليبي) الشهير، وفي هذا القول مسألةٌ تحتاجُ إلى النقاش، ولكن دعونا أولاً نقتبس من الكتاب :

((لم يكن أبوليوس رجلاً عادياً من عامة الناس، بل كان أحد المفكرين المعروفين، ولد في مدينة « مادور» **(وهذا ما يفسر عبارة «أبوليوس المدوري»)** ، على شاطيء «وادي مجردة» في تونس، وكانت مستعمرة رومانية بالغة الازدهار))

في الواقع أن هذا أيضاً يحتمل النقاش، فابوليوس ولد في مدينة «مادور» وهي المدينة التي يطلق عليها اليوم «مادوروش»، وتقع في ولاية «اهراس» في الجزائر. وما يؤكد هذا هو ما ورد في نفس الكتاب . الصفحة 17 . حيث يقول فهمي خشيم :

((**وكانت اسرته من الثراء بمكان،** ـ أي أنه من اسرة كان عندها المال الوفير ـ ويورد «خشيم نصاً لأبوليوس مؤكداً هذ الحقيقة، إذ يقول أثناء المحاكمة : **((إنني أعلن أن أبي خلّف لي ولأخي أقل بقليلٍ من عشرين مائة ألف من السسترات))**

.والسستر هي عملة رومانية كانت تستعمل في ذلك الوقت.

لا أريد هنا أن أخرج عن الموضوع الأساسي لهذه الافتتاحية، ولكن للمزيد من التوضيح لابأس من أن نعرف أن للعملة الرومانية حكاية ممتعة تستحق أن نعرفها ..

وهي أنه في ذلك الوقت، كان لابد لتيسير الحركة التجارية الداخلية والخارجية من تأسيس قاعدةٍ للتعامل بالنقود، وكذلك المقاييس، والمكاييل، والموازين .

ولأن الماشيةَ حتى القرن الرابع قبل

الميلاد كانت هي وسيلة التبادل، يعني المقايضة ، وذلك لما لها من قيمة عند جميع الناس، ولأنها كان يسهل نقلها من مكان إلى مكان. فلما اتسع نطاق التجارة استخدمت قطعٌ من النحاس، خشنة الصنع غير مهذبة تسمى الإيس Aes (.حوالي 330 ق.م). وقد اُشتقت الكلمةُ الإنجليزيةُ الدالةُ على القيمة estimate (إيستميت) من كلمتي Aes timare أي تقويم النحاس. وكانت الوحدة المستعملة في تقويم الأشياء هي الآس As (الواحد) وكان وزنها رطلاً من النحاس. و«الرطل» هو وحدة وزنية تعادل اقل بقليل من النصف كلجم .أي 449 من الجرامات. وقد سكّت الدولة الرومانية عملة نحاسية حوالي عام 335 ق.م، وكانت تطبع عليها في الغالب صورة ثور، أو شاة، أو خنزير، ومن ثم سميت «بيكونيا» pecunia من بيكس pecus أي ماشية). ويقول **بلليني** الأكبر وهو من أشهر المؤرخين الرومان إنه لما شبت الحرب البونية الأولى .. (وللتوضيح لمن لا يهتمون في العادة بالتاريخ القديم أقول إن الحرب البونية هي الحرب التي وقعت بين الرومان وبين القرطاجيين .. حيث كانت روما في ذلك الوقت كانت القوة العظمى الأولى في العالم .. وقرطاجة كانت القوة الافريقية التي نازعت روما)، فالتاريخ لم يتغير .. مازال هو .. هو .. أمريكا لم تولد منذ 300 عام مثلما نعتقد .. لأن فكرة الهيمنة والقوة المطلقة هي فكرة عمرها آلاف الأعوام .

المهم ... عندما وقعت الحرب البونية .. ولم تجد الجمهورية الرومانية من الأموال ما يفي بحاجاتها، خفضت وزن الآس إلى أوقيتين من النحاس، (والأوقية وحدة وزن انتشرت قديماً عند العرب، ولها حديث طويل ، فهناك أوقية ذهب وأوقية فضة ، وربما يتراوح وزنها بين 200 إلى 100 جم .. المهم أنه وبهذه الوسيلة ، أفلحت روما في أن تتخلص من الدين العمومي «. وما أن أقبل عام 202 حتى كان وزن الآس قد نقص إلى أوقية واحدة، ثم خفض في عام 87 إلى نصف أوقية لتستعين الدولة بذلك على تمويل الحرب الاجتماعية. وفي عام 269

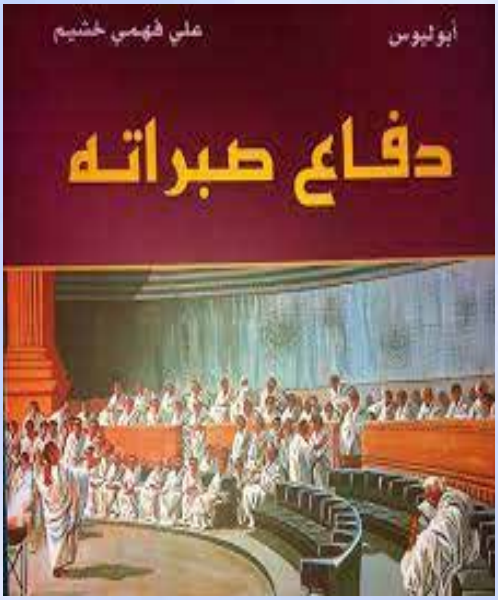

سكّت قطعتان من النقود الذهبية أولاهما الدينياريوس Denarius وكان يساوي عشرة آسات، وهو الذي نعرفه الآن بالدينار، والأخرى الستراتيوس ومقدارها آسان ونصف آس أو ربع دينياريوس.

هذا عن العملة الرومانية ، ولكن ماذا عن أبوليوس ؟

إن الرجل يقول عن نفسه الآتي مخاطباً خصمه في المحاكمة :

((أما بالنسبة لوطني ومسقط رأسي ، وتبيانك أنها تقع على تخوم نوميديا وغايتوليا، من كتابات لي اعترفتُ فيها بأنني كنت نصف نوميدي ونصف غايتولي . فأنني لا أرى ما يجب الخجل منه في هذا الباب، فأنا لا أخجل من موطني .))

إن الرجل لم يقل أبداً إنه روماني، (نحن ويالعجب نقول ذلك). إنه يقول إنه مواطن ليبي، نصف نوميدي، ونوميديا هي الجزائر الحالية، وهذا يؤكد أن مدينة «مادور» هي في الجزائر عكس ماذكره «خشيم» في الكتاب، ويؤكد ايضاً إنه ليبي، عندما يقول إنه من قبيلة الجايتول، وهي قبيلة كانت تنتقل بانتظام مابين الساقية الحمراء إلى اجدابيا . وكانت من اقوى الفيالق في الجيش الذي وصل به هانيبال إلى إيطاليا ذات يوم .

إن أبوليوس الذي ولد عام 124 م. أي منذ 1897 من الآن . أرسله أهله الى قرطاجة ليطلب العلم، ثم إلى أثينا ليتعلم الفلسفة، وتجول طويلاً في آسيا الصغرى ومصر ، لكنه يصل الآن إلى «أويا» ، أي «طرابلس» الحالية، وقد كانت مدينة مزدهرة عامرةً بالأسواق، وكان له فيها أصدقاء اقام عندهم، لكن المرض ألم به فأطال المقام، فتعرف هناك على سيدة غنية ذات حسب ونسب، وتزوجها مما اثار الغيرة والحسد. فمنذ آلاف السنين كانت الغيرة وكان الحسد. أقارب السيدة إذاً لم يستوعبوا أن يتزوج الغريب منهم ويستولي على الثروة، فاتهموه بممارسة السحر الأسود . وهي تهمة كانت تكفي لهلاك صاحبها آنذاك. وهكذا وجد الفيلسوف نفسه مجبراً على الدفاع عن نفسه في محاكمة أقيمت في صبراتة. وهذه هو سر الاسم الذي اختاره خشيم لكتابه : «دفاع صبراتة» . فمن المعروف تاريخياً أن تلك المحاكمة جعلت «ابوليوس» يقدّم واحدة من أروع المرافعات في التاريخ . بفعل بلاغته وقدرته على منهج المحاجة . فما هو منهج المحاجة ؟

إن الحجاج في اللغة هو من الفعل حاجّ، يحاجّ، وحاجَّ الشخصُ بمعنى: أقامَ الحُجّة، والدليل؛ لإثبات أنّ الأمرَ صحيح، وقدّم الحُجّةِ، والدليل؛ ليقنعَ الآخرين، وحاجّ الشخصَ: أي جادلَهُ، وخاصمَهُ، ونازعَهُ بالحُجّة. ويُعرّف «الحِجاجُ» في اللغة أيضاً على أنّه المُجادَلةُ التي يكون سببُها الخلافُ على وجهةِ نَظرٍ ما، ويكونُ الهدفُ منها إثباتُ الرأي، وهو الغلبةُ على الخصوم في الكلامِ، والخطَابِ، باستخدامِ الحُجّةِ والبُرهان.

أمّـا الحجـاجُ اصطلاحـاً، فقـد ظَهـرَ كمُصطلَـحٍ في نهايـةِ عَقْـدِ الخمسـينيّات مـن القـرن العشـرين؛ وذلك مـع مُحاولاتٍ لإقامـةِ علـمٍ لدراسـةِ الخَطابـةِ بأنواعهـا؛ حيـثُ قَدّمَ «حاييم بيرلمـان» تعريفاً للحِجاج، وفي الواقـع هو من أسـس ما يعـرف بمنهج الحجـاج أو نظرية الحجاج. لكن الفلاسـفة اليونـان في الواقـع هم من بادروا بتأسـيس هـذا المنهـج، وإن لـم يجعلـوا لـه اسـماً .. وتبعهـم الرومـان، وبالطبـع كان أبوليـوس هـذا مـن ركائز هـذا المنهـج ، والدليل على ذلك هـي مرافعته التي خصص لها خشـيم هـذا الكتاب .

المرافعـة مذهلـة، إلى أبعد حـد .. حججٌ .. ومنطقٌ، واسـتنباط .. إنه يستعمل المنطقَ في المحكمـة عندما يأخذ عليـه الخصوم أنه كان يمتلـك مـرآة .. يتزين امامهـا ويتأملها ، فيقـول رداً عليهـم : ((إن امتـلاك شـيء مـا لا يعتبـرُ دليلاً علـى اسـتعماله، كما أن عـدم امتلاكه لا يدل على عدم اسـتعماله))، وعندمـا اتهموه بالسـحر قال :

((لـو كان هـؤلاء القـوم يتخيلـون أن السـاحر هـو بالضبـط شـخصٌ قـادر، عن طريـق اتصالـه بالأرباب الخالـدةِ والحديثِ معهـم، بقوةٍ خارقة أودعت في تعاويذه، على فعـل كل ما يحلو لـه، فإنني أعجـب كل العجـب لعدمِ تخو فهـم مـن اتهامـي، وهـم يصرحون بامتلاكـي لـكل هـذه القوى الجبارة .))، وهو يخرس ألسـنة خصومه الذين اتهموه بالسـحر بهذا الدليـل المنطقـي والحجـة الدامغـة : ((إن كنـت تعـرف (خواصَ الأسـماك السـحرية) فأنـت ايضـاً سـاحر، أما إذا كنـت تجهلها فـإن عليـك بالضرورة أن تشـهد بأنـك تتهم شـخصاً بشيء لا تعرف عنه شـيئاً البتة .))

الأمثلـة عديـدة، والمرافعة سـاحرة بالفعل. ولكـن، لمـاذا أركـز في هـذه المقدمـة على قـوة المنطق ؟ ولماذا أشـيد بأهميـة منهج المحاججة ؟ ربمـا لأننـا بأمـس الحاجـة إلـى قـوة العقـل، وإلـى تمجيـد التعلـم .. إلـى تبجيـل العلمـاء، ونحـن في أمـس الحاجـة أيضـاً إلـى أن نوقـف هـذا التنمر البشـع الذي نمارسـه بحق بعضنا أثنـاء نقاشـاتنا وحواراتنـا وصراعاتنـا، ذلـك لأننـا لا تقيـم وزنـاً للحـوار كقيمـة ينبغـي أن تُحتـرم .

ولماذا نركز على ليبية أبوليوس .؟

لأننا بأمس الحاجة إلى تأطير كل هذه العقول المبدعة التي كانت مدن ليبيا وطنها، لا مدن اليونان. كاليماخوس، كانت شحات وطنه. وابوليوس كانت الجيتول قبيلته . والأمثلة غيرهما عديدة .. في مصر مثلاً .. لا أحد يعرف محمد على الكبير إلا كونه مصرياً .. وهو الألباني الأصل .ولا أحد يعرف البطالمة إلا مصريين ،وهم المقدونيون الأقحاح .ولا أحد يعرف كليوباترا إلا مصرية ،وهي المقدونية ابنة المقدونيين .

موطن النشأة هنا يعطي الهوية ..

ونحن .. لا زلنا نعاني البخل الشحيح في ما يتعلق بهذا الأمر .. مازلنا ننغلقُ .. ونمعن في الانغلاق فنخسر بانغلاقنا تاريخاً لا يمكن تعويضه . حتى أنه بلغ من انغلاقنا أن طلاب مدرسة ما لا يحق لهم الدراسة إلا في منطقتهم السكنية، في خطوةٍ من شأنها أن ترجع بنا إلى العصر الحجري لو لم نتصدى لثقافة الانغلاق هذه .

أليس الانغلاق تجرثماً نمارسه كالكائنات الأولية التي تلجأ إلى هذا الخيار لتحمي نفسها من الخطر ؟ نحن نفعل العكس، نتجرثم لنجلب الخطر لا لنبتعد عنه . ولكم في ذلك الخيار.

الكلاب في الأدب الليبي [2]

تحدثنا في السابق عن التعريف بالكلاب في ليبيا وعلاقاتها مع الناس ودورها في الأدب الليبي، أما الآن نواصل الحديث عن الكلاب ودورها في الأدب الليبي من خلال المحاور التالية.

امراجع السحاتي. ليبيا

خرافات وأساطير عن الكلب :

هناك عديد الحكايات والخرافات عن الكلب في الأدب الإنساني، حيث يقال إنه ذات يوم قيل للثعلب :

– لماذا تجري أكثر من الكلب ؟

فأجاب الثعلب :

– لأنني اجري لنفسي، وليس أحد مثل الكلب الذي يجري من أجل صاحبه .

ويحكى أن كلباً جرى وراء غزال، وبينما وهو يعدو خلف الغزال قال الغزال للكلب :

– اقسم بالله بأنك لا تستطيع الإمساك بي .

فقال الكلب :

– وكيف لا استطيع الامساك بك ؟

فأجابه الغزال :

– لأنني اجري لحماية نفسي منك، وأنت تجري من أجل صاحبك الذي يود الإمساك بي [1].

وقد ترددت هذه الحكايات في الأدب الليبي كثيراً بنفس المعنى في العصر الحديث، وانطبقت على الكثير من الأشخاص خاصة في مهمة الكلب، كما نظمت لعبة ذكر فيها صغار الكلب وهي لعبة «دباغ»، حيث يمسك بيد الصغير وتمسح عدة مرات وفي كل مره يقول الكبير:

– « دباغ تبدد الحليب اللقاح .. ما لقينا من يلغاه .. يلغاه اجريو لمراح .. الجريو راح ..»

وهكذا إلى أن يتم تسمية وظائف أصابع اليد الخمسة، التي منها «تأتم بن تأتم» (الخنصر)، و «لاباس الخاتم» (البنصر)، و«طويل بلا خصلة» (الوسطى)، وهو الإصبع الوسطي، ثم «لحاس القصعة» (سبابه)، و «لحاس البرمة» (إبهام)، وهناك من ينطقها بشكل آخر .

التفسير الليبي لرؤية الكلب في المنام :

قام الكثير من الليبيين بتفسير رؤية الكلب في الحلم، وقيل إن الكلب يعني العدو، ويقول المفسرون العرب الأوائل إن نباح الكلب في المنام ندامة من ظالم، ويقال إن الشخص

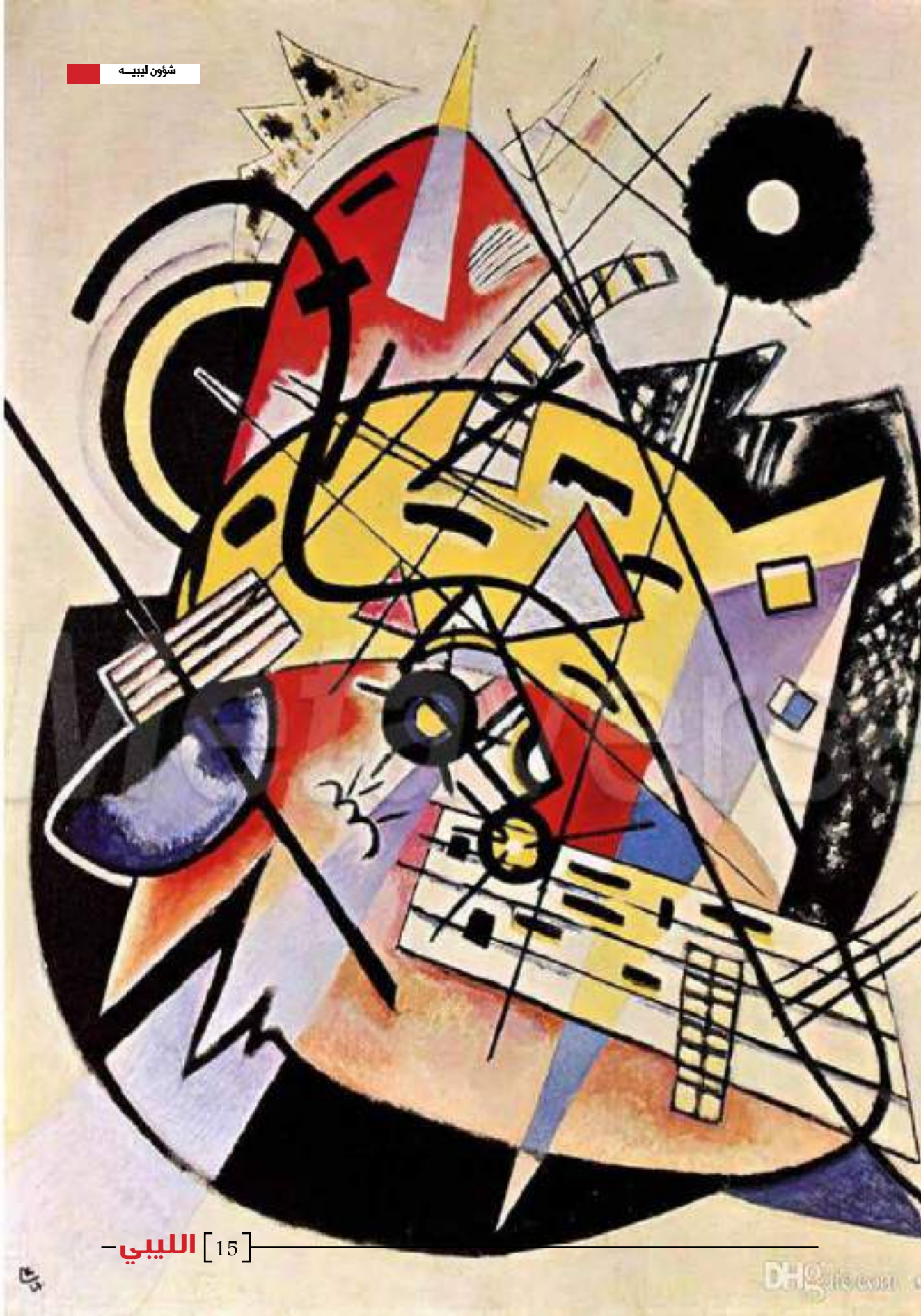

الذي يرى في منامه الكلب فان ذلك يدل على الكثير إذا كان الحالم امتلك كلباً فأنه سينال المساعدة في القريب العاجل من صديق، ويقال إن الحالم الذي يرى في منامه أن الكلب الذي يملكه قد مات، فإن ذلك يدل على أنه يتحلى بالتعاطف، وسوف يكون إنساناً عطوفاً، ويقال إن الشخص الذي يرى في منامه كلباً غريباً فإن ذلك يدل على أنه سيرتبط بعلاقة صداقة مع شخص، ويقال إن من يرى في منامه كلباً يهجم عليه، فأن ذلك يدل على أنه سوف يتعرض إلى منازعات وخلافات مع الأصدقاء وبالإمكان التغلب عليها، ويقال كذلك إن رؤية الكلب في المنام، إذا نبح فإنه رجل طاغ سفيه، وشرب لبن الكلب، خوف، ومن توسد كلباً في منامه يستنصر بصديق، ويقال إن رؤية الجرو في المنام ولد محبوب وسواده سؤدده على أسرته وبياضه إيمانه، وقيل إن كلب الرعي مال يناله من يعمل عنده، وقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رأى في منامه عام الفتح بين مكة والمدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلام اقترب من مكة مع أصحابه فخرجت عليهم كلبة تهر، فلما اقتربوا منها استلقت على ظهرها، فإذا أثداؤها تشخب لبنا، فقام أبو بكر بقص تلك الرؤية على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذهب كلبهم وأقبل درّهم، وهم يسألونكم بأرحامكم وأنتم لاقون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان بن حرب فلا تقتلوه [2]. وعموماً التفسير الليبي لرؤية الكلب في الحلم لا يختلف عما فسره الكثير من المعبرين والمفسرين .

الكلب في حلم سلطان النيهوم:

سبق للأديب والكاتب الليبي «الصادق النيهوم» إن أورد في حبكة إحدى قصصه الكلب، وكان أحد شخصيات تلك القصة الكلب وهي قصة «عن مراكب السلطان»، يقول النيهوم في سرده في تلك القصة ذاكراً الكلب وهو إحدى شخصيات القصة ومصدر الصراع فيها :-

« كان كل امرئ في «جالو» يحلم مثل السلطان، ما عدا السلطان نفسه الذي أحاقت به مصيبة عجيبة، ولعنة رهيبة، جعلته لا يضع رأسه فوق الوسادة ويغمض عينيه في أي وقت من أوقات الليل أو النهار دون أن يحلم بالكلب الأسود . وكان الكلب فظيعاً منتناً ومفقوء العينين، وكان يتراءى للسلطان دائماً فوق التلال الرملية القاحلة التي تمتد وراء أسوار «جالو» يرفع رأسه القبيح ويعوي بجنون حتى تغرق التلال في أنفاسه الكريهة، ثم ينطلق في أعقاب السلطان فيما تتدلى عيناه المفقوءتان فوق خديه. وكان السلطان يتخلى عن نعليه ويعدو في المنام، وكان يعبر التلال الرملية القاحلة ويقفز فوق أسوار «جالو» ويتسلق عرائش العنب وأسقف البيوت، ويواصل العدو إلى قصره المرمري المشرف على الميناء الذي تحوطه عشرة أسوار من الحديد. وقد تعود الكلب أن يتوقف عند السور الأول في بداية الأمر، ولكنه عاد فاخترقه رأس السنة، ثم اخترق السور الثاني في رأس السنة التالية، فيما كان السلطان يراقبه في المنام مفتوح العينين » [3] .

نجد هنا «النيهوم» يوظف شخصية الكلب الأسود في هذه القصة، وهذه الشخصية ذات مدلول ومغزى، خاصة عندما أقحمها في صراع مع السلطان دون اشتباك، وحين أظهرها في حلم السلطان كعدو يود مهاجمته، وقد تكرر ظهور هذه الشخصية للسلطان مما ابرز الصراع، وأعطت القصة عناصر من عناصر تكوينها .

فالكلب الأسود في الحلم اعتبره الكثير من المفسرين والمعبرين عدواً. ويضيف النيهوم في سرده ذاكراً الكلب الأسود :- « وفي رأس السنة الرابعة أفرط السلطان في الشراب حتى

سقط على الأرض، وحلم بالكلب الأسود، وسمعه يعوي فوق التلال الرملية القاحلة، ثم رآه يعبر السور الثالث، وقد صحا السلطان مصعوقاً من الرعب [4].

وهذه مدلولات أيضاً عن العدو وقربه من الحالم . كما نجد النيهوم يذكر الكلب الأسود في الحوار الدائر بين الفقي والسلطان، حيث يقول الفقي وفق ما جاء في قصة «عن مراكب السلطان» : – « اعلم يا مولاي إنني سمعت بما اعتراك من العيش الأنكد والحلم بالكلب الأسود ..» [5].

حلم مرعب قد يكون كابوساً حلم به السلطان، وهو قد يكون مدلولاً خاصة بدخول الكلب الأسود وبعوائه، خاصة وأن عواء الكلب يدل على الشؤوم في معتقدات الكثير من الشعوب والأمم .

ويقول فقيه النيهوم مفسراً حلم السلطان :– « إن الكلب الأسود الذي تراه في حلمك يا مولاي هو نذير الدمار بعثه إليك الواحد القهار لكي ينذرك من المصيبة القادمة .

ووضع السلطان يده على فمه وقال بعد برهة : « ومتى يحدث ذلك يا جناب الفقي ؟ « .

« بعد سبع سنوات « قال الفقي في هدوء « بعد سبع سنوات «، عندما يخترق الكلب الأسود داخل الأسوار ويصل إليك كي يعضك في عقبك .انك لن تراه إلا مرة واحدة في رأس كل سنة « [6] . وقاطعه السلطان فجأة : « مرة واحدة في رأس كل سنة ؟ . مرة واحدة فقط ؟ « وقال الفقي مؤكداً « أجل، يا مولاي، مرة واحدة فقط لكي تتذكر تعداد السنين، وسوف يخترق السور السابع ويصل إليك ويعضك في عقبك . إن تلك يا مولاي عضة الفقر ، وصروف الدهر « [7].

نجد أن تفسير فقي النيهوم أقرب إلى تفسير «بن سيرين» وتفسير الليبيين عموماً، فالكلب الأسود تفسيره في الحلم أنه عدو . و «عن مراكب السلطان» هي قصة مستلهمة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فكان السلطان عزيز مصر، وصفها الكاتب والناقد «سليمان كشلاف» في كتابه «دراسات في القصة الليبية القصيرة» بأنها قصة تفاهة وضحالة التفكير حيث يقول :– « من خلال أفكار ومضامين تلك القصص لا نجد إلا التفاهة وضحالة التفكير والضحك على العقول « [8] .

حقيقة قصة «سيدنا يوسف» مع «عزيز مصر»، قد تبنى عليها قصص وحكايات أخرى، خاصة عندما يأتي لشخص حلم مشابه أو قريب منه، ويطلب استشارة أو تحليل شيء وتفسيره، وقد أخذ مفسرون ومعبرون قصة سيدنا يوسف مع حلم عزيز مصر منهاجاً للتفسير عليها، ولهذا فان النيهوم لا نعد عمله تفاهة لأن الكثير من المعبرين والمفسرين يستندون في تفسيرهم لتفسير سيدنا يوسف لحلم عزيز مصر .

نجد «النيهوم» يوظف الكلب الأسود في قصة (عن مراكب السلطان) لما لها من مدلولات كثيرة خاصة الكلب الأسود، وقد جاءه الحلم على دفعات وليس دفعة واحدة مثل عزيز مصر . يقول سرد النيهوم في تلك القصة ذاكراً الكلب الأسود :- « .. وقد ذهب السلطان على الفور إلى فراشه، وأوصى وصيفه أن يوقظه إذا رأى أنه بدأ يحلم بالكلب الأسود . ولكن السلطان لم يحلم بالكلب الأسود ...» [9] .

ويقول كذلك :- « وفي نهاية السنة السابعة رزق الفقي بولد آخر، وحلم السلطان بالكلب الأسود، ورآه يخترق آخر سور وينطلق وراءه مفقوء العينين كي يعضه في عقبه بنابه المسموم، وصرخ السلطان في المنام وفتح عينيه مذعوراً ....» [10].

الكثير من المفسرين يؤكدون في تفسيرهم للأحلام بان الكلب الأسود هو رجل عربي، فمثلاً يقول شيخ المفسرين الأمام «محمد بن سيرين» عن الكلب عامة والكلب الأسود في الحلم :- « قد اختلف في تأويله، فمنهم

من قال : هو عبد، وقيل : هو رجل طاغ سفيه مشنع إذا نبح، والأسود عربي، وهو عدو ضعيف صغير المروءة ...» . ويقول بن سيرين كذلك :- « ومن عضه كلب، فان كان يصحب ذا بدعة فتنه، وان كان له عدو أو خصم شتمه أو قهره ، وان كان له عبد خانه أو حارس غدره، وان كان ذلك زمن الجوع ناله شيء منه، ثم على قدر العضة ووجعها يناله « [11] .

في المعتقدات الشعبية النورماندية نجدهم يرون أن جميع الكلاب باستثناء كلاب الرعاة تنتمي إلى الشيطان، حيث نجد ذلك في المصدر الذي يقول : - « يرى النورمانديون أن الكلاب، جميعها، تنتمي إلى الشيطان باستثناء كلاب الرعاة « [12].

ونجد كذلك بان بعض المسلمين قد حذروا من الكلب الأسود حيث نجد ذلك في المصدر الذي يقول :- « وقد ذكر البعض أن الإسلام قد نهى عن قتل الكلاب، وعد قتل الكلب ذنباً جسيماً يعادل قتل سبعة رجال . لكنهم ذكروا كذلك انه ينبغي حذر الكلب الأسود الذي يحمل بقعتين بيضاوين فوق العينين لأنه تجسيد للشيطان» [13].

مما تقدم نجد أن الكلب الأسود يرمز للشيطان، إذن هذا مدلول للخوف والذي قد يأتي من الجوع والفقر والمرض وغيره، وفي تفسير فقي النيهوم نجد أن تفسيره قريب جداً من تفسير بن سيرين وتفسير الليبيين، ووفق ما جاء في اعتقاد بعض الأوروبيين والمسلمين . إذن نجد ان النيهوم وظف المعتقد مع تفسير بعض من المعبرين مع استلهامه حبكة وعقدة على غرار قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع عزيز مصر مع بعض الإبداع، وهو لم يتخط مصادر العمل الدرامي في عمله هذا .

لا يمكن حصر ما قيل عن الكلاب، وهي بحاجة لحملة ثقافية مدعومة من الدولة لغرض توثيقها من ضمن موروثنا وأدبنا الشعبي، وما ينطبق على الكلاب ينطبق على باقي الحيوانات التي عاشت مع الليبيين وتحملت ما تحملت، خاصة في الكوارث الطبيعية كالمجاعات والقحط، أو الكوارث غير الطبيعية مثل الحروب، ونتمنى أن يتم الاهتمام بها والمحافظة عليها لأنها من ضمن أدبنا وموروثنا الخالد .

الهوامش :

1. إحسان عباس، ملامح يونانية في الأدب العربي،(بيروت- لبنان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977)، ص 193.
2. الإمام محمد بن سيرين، تفسير الأحلام الكبير ، (بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية ، 1996) ، ص 225 .
3. الصادق النيهوم، من قصص الأطفال، (بيروت - لبنان : تالة للطباعة والنشر ، ط1 ، 2002)، ص11، 12
4. المرجع السابق ، ص12.
5. المرجع السابق ، ص13.
6. المرجع السابق ، ص14.
7. المرجع السابق ، ص، ص 14 ، 15.
8. سليمان كشلاف، دراسات في القصة الليبية القصيرة ، (طرابلس - ليبيا :المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ط1، 1979)، ص70.
9. الصادق النيهوم، مرجع سابق، ص16
10. المرجع السابق، ص19.
11. الأمام محمد بن سيرين، مرجع سابق، ص 225.
12. بيار كانافجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا، ترجمة احمد الطبال ، (بيروت - لبنان المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1، 1993) ،ص252.
13. المرجع السابق، ص253.

الخروب الليبي.. ذهب أسود

عبد السلام الزغيبي. اليونان

عندما كنا صبيان، كنا نذهب دوماً في رحلات الى ربوع الجبل الاخضر، هناك نبحث عن مكان يحوي على أشجار الخروب الوافرة الظلال بثمارها البنية الداكنة التي تشبه قرون البازلاء، نسرع إليها ونلتقط ثمارها ذات الرائحة الزكية، ونمضغها ونمصها بلذة، وتحت ظلالها نفترش الأرض وتملأ رائحة الخروب المعبقة المكان.

كنت أحب في شجرة الخروب جمالها وصمودها وقوتها وقدرتها على الصبر وتحمل الجفاف، وهي في نفس الوقت، وارفة الظلال، دائمة الخضرة ،وهى متواضعة فى احتياجاتها من الطبيعة،انها الشجرة المعطاءة، إنها مثال الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

اسم «الخروب» في أغلب اللغات قريب من اللفظة العربية للكلمة، وبحسب بعض معاجم اللغة يُعتَقَدُ أن أصل الكلمه عربي، وقد انتقلت إلى اللغات الأخرى بسبب التجارة، كما انتقلت الكلمة وبذورها إلى إسبانيا مع امتداد الدولة الأموية، لتحجز لها مكاناً دائماً في البيئة واللغة الاسبانية على السواء. كما وجد الخروب لنفسه موطىء قدم في الأمثال الشعبية العربية، كالمثل الأردني القائل «مثل حلاوة الخروب»، أو المثل المصري القائل « زي الخروب قنطار خشب على درهم سكر»، كناية عن عناء إستخلاص الحلاوة من ثمر الخروب مقارنة بغيره من ثمر الشجر، والمثل المصري الآخر القائل «أسود مثل قرن الخروب» في توربة للأيام الجِسام وحالكات الليل لِشِدّة سوادهن.

وذُكر الخروب في قصائد الشعراء، وفي كتب التراث العربي، وسُمي ‹‹خرنوب›› نسبة إلى كون شجرته عظيمة، وثمرته صغيرة سوداء، وحلوة بها نوى❖ ففي ‹‹لسان العرب›› لابن منظور جاء تعريف الخروب بأنه ‹‹شجرة شاكةٌ، لها أَغصان وورق، وثمرتها جِرْوٌ، أَي مدورة، تدعى: نَعْمان الغاف، مذاقها طَيّب››❖ كما أتى الأَزهري في ‹‹الرباعي›› على ذكر الخروب، فقال: ‹‹إنه شجر ينبت في بوادي العرب وجبال الشام، له حبٌ أحمر مكور، يسمّيه أَهل العراق القثّاء الشامي، وهو يابس أسود››❖

وفي الشعر الشعبي الليبي تغنى الشعراء بالشعر الخروبي :

تشي فاتشي يا روبي ..

العين قصطليه والشعر خروبي .

والخروب في الجغرافيا اسم مكان أيضاً، فقد أُطلق اسمه على العديد من مناطق جغرافيا الوطن العربي، نراه في وادي «أُم خروبة» في الاردن، وهناك «الخروبة» وهي قرية تقع إلى الجنوب من المرج في شرقي ليبيا بحوالي 66 كم، وفي الجزائر توجد بلدية «الخروبة» على بعد حوالي 7 كلم عن مدينة «بودواو». وفي لبنان يوجد إقليم الخروب في قضاء الشوف اللبناني.

كانت بذرة الخروب هي الوزنة الرئيسة التي تستخدم في وزن النفائس الثمينة والتي تقدر بوزن أيامنا بـ 200 مليجرام، وهو ما يساوي

القيراط الواحد، فالقيراط في اليونانية هو ثمرة الخروب (ويساوي وزن خمس بذرات من بذورها غراماً واحداً أو خمسة قراريط)، وعلى الرغم من التباين البسيط في أوزان بذور الخروب إلا أنه فرق غير معنوي بالنسبة للأوزان في العصور القديمة، حيث لم تكن في ذلك الوقت موازين تستطيع أن تزن أوزان بدقة أعلى من 200 مليجرام (أي بذرة خروب)، واعتمدها الصاغةُ والتجار لتكون أصغر وحدة قياس في حينها.

والخروب من الاشجار السامقات، ويُداني عُلُوُّها العشرين متراً بحسب بعض المراجع العلمية. وأوراقها دائمة الخضرة، ومُركَّبة القِوام، تتألف من وريقات لامعةٍ مستطيلة أو بيضاوية ذات لون أخضر داكن من السطح العلوي، وأخضر فاتح من السطح السفلي، وملمسها جلدي يجعلها نَضِرة وبخاصة عندما تخلع غيرها من الأشجار حلّتها من الأوراق خريفاً، لتزداد الخروبة بهجةً عقب تمتعها بماء الغيث، فتصبح لامعة ناصِعة بعد عنائها في فلترة الهواء من الغبار والغازات السامة. فالخروب يعتبر من افضل فلاتر الهواء

الطبيعية بسبب تشابك أغصانه وأوراقه الكثيفة خضراء التي تتحول بعد أن تجف إلى اللون الأسود فتبدو كقطعة متفحمة، وأحياناً تستطيل كقرون طويلة»❖

عصير الخروب كان الشراب الثاني بعد «الكركديه» لدى الفراعنة. ليس ذلك فحسب، فللفراعنة قصة خاصة مع الخروب، حيث تشير الاكتشافات الأثرية في الاضرحة الفرعونية إلى أن قرون الخروب وبقاياها كانت تكدس في صواني خشبية وتثبتها أشرطة من نبات البردي، وقد دخل الخروب في صناعة الحنوط لتوضيب المومياء بأصباغ وأصماغ لاصقة، وقد أطلق الإغريق في القرن الرابع قبل الميلاد على الخروب اسم التين الفرعوني أو المصري.

يعتبر عصير الخروب من أقدم العصائر التي عرفها الإنسان منذ حقبة تزيد عن خمسة آلاف عام، كما عُرف كمصدر هام لتصنيع المواد الحلوة من خلال صنع المربى أو تناوله بشكل مباشر أو بعد نقعه بالماء.

ويحتوي مسحوق قرون الخروب على كربوهيدرات، وبروتينات، وألياف، وسكريات مختزلة وغير مختزلة، وكميات عالية من الكالسيوم والفوسفات، ومادة الجلاكتومالان التي تستخدم حالياً في صناعة صلصة بديلة للشكولاتة والآيس كريم ومشتقات الألبان والمربيات، وكمادة مغذّية تضاف على منتجات اللحوم مثل النقانق واللحوم المعلبة.

وتشير البحوث العلمية إلى فوائد شراب الخروب كعلاج للقرحة المعدية، فهو يشكل طبقة عازلة فوق القرحة المعدية، فيحول دون وصول أحماض وأنزيمات المعدة إليها، معطياً إياها فرصة للالتئام. كما دخل مسحوق قرون الخروب وبذوره في الصناعات الدوائية الصيدلانية من خلال تصنيع أدوية لعلاج الإسهال ونزيف المعدة وعلاج أمراض الفم.

وبحسب «المركز العربي للاعشاب الطبية»

فإن للخروب فوائد عدة من بينها أن «مغلي جذور الخروب تفيد في تفتيت الحصى، إذ يؤخذ ملعقة من طحين جذوره الجافة ويغلى في كوبين من الماء حتى يتبخر ويصبح كوباً واحداً، ثم يشرب❖ وتكرر هذه العملية ثلاث مرات يومياً، فتتفتت الحصى وتخرج مع البول❖ كذلك؛ الخروب بارد يابس فيه قوّة مقيئة بغير لذع، وينفع مع تقرّح الأمعاء والسَّحَج، وإذا طلي منه على المَقعدة نفع من النواسير والبواسير، وإذا نتف الشعر وطلي به على أثره ودلك به، لم ينبت فيه شعر، وطبيخه يقتل البراغيث إذا رُش في البيوت، وقشره يخفف ألم الأسنان»❖

في السنوات الاخيرة اصبح الاهتمام كبيرا من قبل العديد من الدول بالخروب، بعد أن اصبح له مردود مادي كبير. من هذه الدول، لبنان الذي يعمل على إنتاج كميات وافِرة من عصير ودبس الخروب للاستهلاك المحلي وللتصدير على السواء، ولعلّه أحد الدول العربية الرائدة

في هذا المجال بعد المملكة المغربية و أستراليا التي تقوم بالاهتمام بزراعة الخروب وإنشاء مصانع خاصة به مؤخراً.

في اليونان، يصنعون منه مأكولات كثيرة وخبزا ومكرونة ودقيق، كلها خالية من الغلوتين الذي له حساسية بين بعض الناس؛ ويصدرونه في جميع أنحاء العالم من أوروبا حتى كوريا الجنوبية. كما يصنعون منه عسلاً حلو المذاق. وتملك قبرص معامل تصنيع مشروب الخروب ومصانع لدبس الخروب، وهي تواصل الاهتمام بتلك الشجرة التي منحت الجزيرة قليلة الموارد المائية رداءً أخضر، وثمرة كانت رمزاً لهذه الأرض، رمز تقام له المهرجانات السنوية للاحتفال به وبمنتجاته. كما تزرع شجرة الخروب بكثرة في جزيرة كريت وفي البوسنة.

وتعتبر إسبانيا من أهم المناطق في زراعة هذه الشجرة، وتقدر كمية الإنتاج نسبة للإنتاج العالمي حوالي 45٪ وتحتل المرتبة الأولى، تليها إيطاليا بنسبة 16٪، ثم البرتغال 9٪، ثم المغرب 7.5٪، ثم قبرص 6٪، ثم اليونان 5٪ ، ثم تركيا 4٪. ويتم إنتاج كميات أصغر في الجزائر وتونس وفلسطين وباقي دول حوض المتوسط.

ليبيا دولة متوسطية وهذا النبات ليس غريباً علينا، فهو متوفر في غابات الخروب بالقرب من مدينة البيضاء. ويتوفر بكثرة في منطقة الجبل الأخضر والساحل وسوسة ورأس الهلال ولاثرون، وقد زرع منه أعداد كبيرة ابان العهد الملكي في ليبيا، ومنذ ذلك الوقت لم يجد اهتماماً واضحاً، بسبب قلة وعي الناس بقيمته ومردوده الاقتصادي الكبير، ويقتصر استخدامه هنا والاستفادة منه فقط في أستخراج شراب حلو المذاق يسمى«الرُب» يضاف إلى العصيدة» دقيق وسمن».

نحن في ليبيا، نستطيع بقليل من الاهتمام، بعث مشروع وطني لزيادة انبات وزراعة والاهتمام بشجرة الخروب، ومن ثم استخراج عدة مواد غذائية وطبية، يمكن أن يصدر إنتاجها إلى الدول العربية والأوروبية وإلى بقية دول العالم. باعتبار ان شجرة الخروب لها القدرة على تحمل الجفاف والبرد والرياح القوية، وهي متواضعة في احتياجاتها للنمو والإثمار حيث تعيش في الأراضي الصخرية الوعرة وفي التربة الرملية الفقيرة، وتكتفي شجرة الخروب بمعدل (30) سنتمتراً من الأمطار السنوية وهذه من الأسباب التي تجعلنا نفكر بجدية في زرع شجرة عمرها يمتد إلى أكثر من 200 سنة.

ولما كانت أشجار الخروب جميلة ودائمة الخضرة وتتحمل ظروفاً بيئية متباينة، فإنها تصلح كذلك لتزيين الطرقات والحدائق العامة في بلادنا.

دعونا جميعا نرفع شعار: أزرع شجرة خروب ....وندعو الى مشروع وطني لانبات وزراعة شجرة الخروب..

الآثار في ليبيا ..

تاريخ في مهب الريح

الليبي . وكالات

نجت آثار مدينة «قورينا» من الأحداث التي رافقت الثورة الليبية والصراعات والفوضى التي أعقبتها، لكنها تواجه اليوم تهديداً من نوع آخر يتمثل بالعبث بها وتخريبها وجرف أراضيها.

وتتوسط المدينة الأثرية المعروفة أيضا باسم شحات أو «سيرين» شرق ليبيا، وقد وتأسست المدينة التاريخية في العام 631 قبل الميلا بواسطة رحالة وتجار يونانيين كانوا يترددون على السواحل الشرقية لشمال أفريقيا.

وتتوسد قورينا منطقة الجبل الأخضر الخلابة التي تتميّز بالتنوع النباتي وبحزام من الأشجار يمتد لعشرات الكيلومترات حولها، ولا تزال أعمدتها وجدرانها التاريخية قائمة، في تشكيل هندسي إبداعي، وكأنه بني في الأمس القريب. كذلك لا تزال ترتفع تماثيل وجدران وأعمدة مشيدة من صخور ضخمة باللونين الأبيض والأصفر.

ويتجوّل في المكان عدد محدود من السياح المحليين تحت شمس الربيع الدافئة يزورون معبد أبولو أو معبد زيوس الأوسع مساحة من آثار بارثيون على هضبة أكروبوليس في أثينا.

لكن مصير كل هذه الآثار الضاربة في التاريخ القديم مهدد اليوم بفعل تعديات بشرية مختلفة، من عمليات تخريب عبر الحفر والسرقة والبناء العشوائي.

تعديات المواطن على الوطن :

يقول المسؤول المراقب لآثار شحات، من المدينة الأثرية : ((المشكلة الأكبر تتمثل بتعديات المواطن، إذ يقوم أشخاص كثيرون بجرف بعض المواقع التي تضمّ آثاراً، وتقسيمها وبيعها، ويتم بناء منازل سكنية فوق هذه المواقع التي لا تقدر بثمن.))

وتعود ملكية أجزاء كبيرة من الأراضي المحيطة بالمدينة الأثرية إلى مواطنين يرفضون قرارات حكومية بوقف استخدامها لأغراض سكنية وتجارية، بسبب أن معظمها تتواجد تحتها آثار محمية.

ويشير إلى أنه من الصعب تحديد حجم التعديات، «فالمواقع التي تتعرض لاعتداءات ليست ضمن المنطقة المسيّجة الواقعة تحت حمايتنا ...، بعض الناس دخلوا إلى أراضيهم التي كانت بحوزة الدولة، وقاموا بتقسيمها وبيعها وبناء مساكن فوقها».

ويرى مسؤول المتاحف في شرق ليبيا «إسماعيل دخيل»، أن الأعوام العشر الأخيرة شهدت أبرز التعديات على المواقع الأثرية في شحات.

ويضيف: ((تعرضت شحات للكثير من الانتهاكات، من الكتابة على المباني الأثرية إلى تعرضها للكثير من عمليات الحفر العشوائي، واستخرجت منها قطع أثرية هُربت إلى الخارج.))

ويتابع: ((نعاني أيضاً من البناء العشوائي، إذ امتدّ الزحف العمراني إلى المواقع الأثرية ما أدى بدوره إلى انتهاكها وتدميرها بنسبة تصل بين 20 و30 في المئة من إجمالي مساحتها.))

وأدرجت منظمة اليونسكو مدينة شحات الأثرية وأربعة مواقع ليبية أخرى على قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر في يوليو 2016، بسبب الأضرار التي لحقت بها والتهديدات الكثيرة المحيطة بها.

وأشارت المنظمة آنذاك، إلى أن ليبيا لا تزال تعاني من «عدم الاستقرار» الذي يجعل هذه المواقع في دائرة «التهديد الأمني» و«التعديات البشرية».

ثغرات قانونية :

ويعتقد الباحث التاريخي الليبي «أحمد فرج» أن ضعف القانون من أهم أسباب استمرار التعديات التي تطول المواقع الأثرية، مشددا على ضرورة مراجعتها وإعادة النظر فيها.

ويقول «فرج» العضو في اتحاد بلديات التراث العالمي في ليبيا : ((قانون حماية الآثار في الحقيقة رغم عراقته وقدمه في ليبيا يحتوي ثغرات وضعفا.))، ويضيف أن القوانين لم تعدّل وبقيت على حالها، إلى جانب ضعف آليات تطبيق القانون في حق المخالفين.

ويعود قانون الآثار وحمايتها في ليبيا إلى العام 1995. وبالرغم من معاقبة المخالفين والمعتدين على المواقع الأثرية بغرامات مالية والسجن، يظل القانون بحاجة إلى مراجعة تتماشى وحجم التعديات الحديثة وشكلها.

ويشاطر مسؤول المتاحف في شرق ليبيا «إسماعيل دخيل» الباحث رأيه، مؤكداً أن ضعف العقوبات جعلت المواطنين «يستسهلون» الاعتداء على المواقع الأثرية.

ويشير إلى أن «القانون وضع قديماً، ويعتبر ضعيفاً جداً حالياً، لأن الغرامات المالية بسيطة جدا، وعقوبة السجن كذلك، وبالتالي لا تردع الانتهاك الذي نشاهده بصورة مستمرة».

«الفصل عن السلطة» :

ويطالب «فرج» بفصل مصلحة الآثار والجهات التابعة لها عن السلطة الحكومية المباشرة، وإنشاء مجلس أعلى مستقل للآثار، ويقول إن وجود مصلحة الآثار تحت سلطة الحكومة يعدّ قصوراً، لذلك طالبنا مرارا بتأسيس مجلس أعلى للآثار، ليكون مرجعية تحدد ماهية الأثر من عدمه في المواقع، وأن تكون هذه المرجعية مكونة من خبراء في علم الآثار».

وفي المقابل يرى «سعد محمود» وهو صاحب أرض زراعية في المنطقة أن على السلطات وضع حلول لقضية أصحاب الأراضي في محيط المدينة الأثرية. ويوضح قائلاً :((يطالبوننا بوقف استخدام أراضينا الواقعة في محيط الآثار بدعوى أن آثاراً غير مكتشفة مدفونة تحتها. هذه أرضنا ولكل شخص الحرية في استغلالها».

ويشدد على ضرورة منح تعويضات لأصحاب الأراضي حتى يتمّ إنهاء هذه القضية. ويقول: «على الدولة وضع الحلول المفقودة وتعويض أصحاب الأراضي بما يتوافق وارتفاع الأسعار الذي جعل شراء أراض بديلة صعباً».

كما يطالب بوضع مخطط يوضح للمواطنين المواقع المحتملة للآثار المدفونة، «لكي ينتبه المواطن ولا يتسبب دون قصد في أعمال حفر عشوائية تدمّر الآثار.

عصابات تهريب الآثار :

تكررت في السنوات الماضية، عمليات ضبط لمجموعات وأفراد يهربون النفائس الأثرية، إلى كل يد تطلبها وقادرة على دفع المقابل الذي هو عادة أقل من ثمنها الحقيقي. وفي أحدث العمليات، نجحت السلطات في القبض على عصابة مؤلّفة من مصريين وليبيين تبيع قطعاً أثرية فرعونية نادرة تهرّب من مصر، إضافةً إلى آثار رومانية وإغريقية موجودة بكثرة في مناطق شرق ليبيا وتحديداً في جبلها الأخضر. وتمت العملية بعد مراقبة المجموعة لأسابيع وقبض على أفرادها في مدينة البيضاء، شرق بنغازي.

قطط الباستيت النادرة :

في السياق، قال الناطق الرسمي باسم مديرية أمن توكرة، إحدى ضواحي بنغازي «خليل البرغثي» في حديث لـ «اندبدنت عربية»، إنه بعد ورود معلومات من مصادر خاصة تفيد بوجود شبكة تعمل في تهريب وتجارة القطع الأثرية، وعَقِب جمع معلومات كافية والاستدلال عليهم، نصب رجال قسم البحث الجنائي التابع لمديرية أمن توكرة كميناً لهذه الشبكة في مدينة أخرى وألقوا القبض على أفرادها».

وأوضح أنه عُثر على بعض القطع الأثرية الفرعونية النادرة بحوزة أفراد الشبكة، تُعرف باسم تماثيل «قطط الباستيت»، وتتميز بسعرها المرتفع. وكانت هذه العصابة كما يبدو تسعى إلى تهريبها من ليبيا إلى سماسرة أوروبيين.

أهمية تماثيل القطط السوداء :

في القرن السادس عشر قبل الميلاد، قدّس المصريون القدماء القطط، وكانت تُسمى «باستيت» أو «باست المجسدة» على هيئة رأس قط وجسم امرأة.

وحملت «باستيت» ألقاب عدّة، ومن بينها «سيدة الأرضين» و«سيدة الأرباب» و«سيدة السماء» و«عين رع المسالمة» و«عين آتوم»، وأيضاً لُقبت بسيدة «بسطة» ارتباطاً بمكان عبادتها، وهو اللقب الذي ظل موجوداً في النصوص حتى نهاية التاريخ المصري القديم.

كان المصريون القدامى يحتفلون بعيد «باستيت»، وفي بعض النصوص الفرعونية، يظهر اسم «باستيت» مصحوباً بالرمز التصويري لها كقطة بيت جالسة، وقد صنعوا لها تماثيل فاتنة من الرخام الأسود، جعلت سماسرة الآثار يلهثون خلف كل قطعة

منها ومتاحف الدنيا تتهافت على اقتنائها، وأصبحت هدفاً دائماً للصوص وعصابات التهريب سعياً وراء ما تدرّه عليهم عمليات تهريبها وبيعها من ربح وفير.

دق أجراس الخطر :

عقب سقوط النظام السابق في ليبيا مباشرة، دقت منظمة اليونسكو أجراس الخطر مبكراً، محذرةً من تعرّض المواقع الأثرية والمتاحف الليبية للنهب والتدمير، مرتكزةً في ذلك على تجارب سابقة مريرة في أفغانستان والعراق. وقالت المديرة العامة لليونسكو آنذاك «إيرينا بوكوفا» إن «التجربة أثبتت أن ثمة خطراً داهماً يهدد الآثار خلال الاضطرابات الاجتماعية»، مضيفةً أن «هذه التجربة علّمتنا أن هناك عمليات نهب يقوم بها أشخاص تضر بسلامة القطع الأثرية والمواقع الأثرية».

القائمة الحمراء :

وفي ديسمبر (كانون الأول) 2015، أصدر المجلس الدولي للمتاحف (أيكوم) «قائمة حمراء طارئة»، خاصة بالقطع الأثرية الليبية المهددة بالتدمير أو النهب أو الإتجار غير المشروع، بحسب ما نشره الموقع الإلكتروني للمجلس، وتهدف فكرة القائمة إلى مساعدة المتخصصين في شؤون الفن والتراث وقوات الأمن في تحديد هوية القطع الفنية المعرّضة للخطر وحمايتها عبر تطبيق التشريعات المعمول بها.

لكن كلّ هذه التحذيرات، لم تجد آذاناً صاغية لتشهد العشرية الأخيرة أكبر عملية نهب لمخزون ليبيا الأثري الغني، نظراً إلى تعاقب حضارات عدّة عليها مثل الحضارة الإغريقية والرومانية والفينيقية، إضافةً إلى تراث سكان البلاد الأوائل .

أهم المواقع المهددة :

تضمّ ليبيا خمسة من مواقع التراث العالمي مدرجة على قوائم الخطر من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة

(اليونسكو)، وهي المدينة القديمة غدامس المعروفة بـ «لؤلؤة الصحراء» والموقع الأثري شحات شرق البلاد والمدينتان التاريخيتان لبدة وصبراتة على الساحل الغربي اللّتان كانتا جزءًا من المملكة القرطاجية الزائلة وجبال أكاكوس على الحدود مع الجزائر التي تتميز باحتوائها على الكهوف والمغارات ولوحات يعود تاريخها إلى ما بين 12 ألف عام قبل الميلاد ومئة ألف عام.

كيف تتم عمليات التهريب ؟:

في سياق متصل، أوضح مدير مصلحة الآثار في شرق ليبيا «أحمد حسين» في تصريحات سابقة، كيفية تنسيق وتنفيذ عمليات التهريب، قائلاً إنّ «الآثار المهربة إلى الخارج تُسرق عبر الحفريات غير الشرعية، أو في

القطع غير المسجلة في المتاحف والمخازن بمصلحة الآثار».

وأشار إلى أن «عصابات منظمة تعمل في التهريب، وهي عابرة للحدود وتهرّب الآثار بالتعاون مع عناصر ليبية وفق التحقيقات الرسمية التي تحصّلت المصلحة عليها، علماً أن بعض الآثار المسروقة لم تخرج حتى الآن من ليبيا لكنها مسجّلة ومفقودة».

في المقابل، تمكنت السلطات الجزائرية في أبريل (نيسان) 2017، من إحباط أكبر عملية تهريب لآثار ليبية كُشف عنها حتى الآن، كانت في طريقها إلى المغرب قبل تهريبها إلى القارة العجوز.

ومن بين الآثار المحجوزة، قناع بلغت قيمته المالية، بحسب التحاليل المخبرية، نحو مليون دولار، بينما بلغت القيمة المالية لتمثال إله الشمس، الذي يعود إلى الحضارة الآسيوية القديمة، وآنية أثرية تحمل نقوشاً ذات دلالات مسيحية، ما يزيد على 40 مليون دولار .

كنز بنغازي المفقود :

تُعتبر عملية سرقة ما يُعرف بـ«كنز بنغازي المفقود» التي تمت ما بين عامي 2012 و2013 أكبر عملية نهب للآثار في ليبيا عبر تاريخها والتي لم يُكشف عن تفاصيلها وعمّن يقف وراءها حتى الآن.

وتمثّل المجموعة التي سُرقت جلَّ مخزون بنغازي وما جاورها من المدن التاريخية من آثار والكثير من القطع في المجموعة يعود تاريخها إلى أيام الإسكندر المقدوني.

غموض الملابسات :

من جهة ثانية، لا تزال ملابسات اختفاء هذه المجموعة غامضة وهي تتكوّن من 7700 قطعة نقد ذهبية وفضية وبرونزية من العهد القديم، سُرقت بعدما عمدت عصابة إلى حفر السقف الخرساني لخزانة تحت الأرض وفرّغتها من محتوياتها النفيسة، فيما لم تتمكن السلطات الليبية حتى الآن من معرفة هوية أفراد هذه العصابة.

ووصف أحد خبراء الآثار المهتمين بالقضية الذي رفض الكشف عن اسمه لـ «اندبدنت عربية» هذه السرقة، بأنها «إحدى أكبر عمليات السرقة في تاريخ الآثار»، قائلاً «لا يمكن تقييم تلك المجموعة، لكن يمكن تحديد حجم الكارثة إذا علمنا أن قطعة نقد يونانية قديمة واحدة بيعت بسعر قياسي، بلغ 268 ألف جنيه استرليني في أحد المزادات في باريس».

مساع خجولة :

حاولت الحكومة الليبية في العامَيْن الماضيَيْن استعادة بعض ما فُقد من آثار على الرغم من أن هذه المساعي لا تزال توصف بـ«الخجولة»، قياساً بحجم الكارثة والعبث الحاصل بتاريخ البلاد. ونجحت هذه الجهود في استرجاع مجموعة من القطع الأثرية كانت مهربة إلى إيطاليا في العشرين من سبتمبر (أيلول) 2018، تتضمن أواني فخّارية وأسهماً تعود إلى عصور ما قبل التاريخ.

وأوردت السفارة الليبية بروما في بيان لها آنذاك «أن هذه القطع المهمة، تشكّل بداية لإعادة قطع أكثر أهمية سبق وهُرّبت خارج البلاد».

ونجحت مصلحة الآثار الليبية في العام ذاته، بتعليق بيع رأس تمثال أثري بأحد المزادات في الولايات المتحدة، بعد تحقق الجهات الأميركية من مستندات الإثبات التي تؤكد ملكية ليبيا للأثر التاريخي.

وقال الصحافي والكاتب الليبي فرج الشطشاط لـ «اندبدنت عربية» حول ما يحصل لآثار ليبيا من نهب وتخريب «إن المُصاب جلل وهو أكبر حجماً من كل المصائب التي وقعت للبلاد في سنوات تيهها الأخيرة، فإصلاح ما دُمِّر من بنيتها هيّن، وتعويض ما سُلب من أموالها يسير، لكن تعويض تاريخها المنهوب بعد أن تفرّق في أقطار الدنيا وملاحقته واستعادته،

توظيف الأمثال
في شعر عبد السلام بوجلاوي

سليمان علي السّاحلي. ليبيا. موقع بلد الطيوب.

يكثر استخدام المثل الشّعبي في أدبنا الشّعبي بصورة عامة، ويحتاز الشّعر على نصيب وافر من استخدام هذه الأمثال حيث يوظفها الشّعراء في المواقف والمناسبات المختلفة. إنّنا نجد – في الواقع – تفاوتا في إجادة الشّعراء لتوظيفهم للأمثال ويرجع هذا التفاوت إلى موهبة الشاعر ومدى سيطرته على أدواته الفنية.

ويعدّ الشّاعر «عبد السّلام بوجلاوي» في مقدّمة الشّعراء الذين يستخدمون الأمثال الشّعبية المختلفة بكثرة، وقد أجاد في توظيفها بشكل لافت. ويرى بعض الدارسين والمتابعين لشعرنا الشعبي أن هذه الموهبة ورثها عن أبيه الشاعر الكبير «إبراهيم بوجلاوي» الذي اشتهر بتميزه في توظيف الأمثال في الشعر، إلا أننا نرى أن الابن قد تفرد في صياغة أساليب جديدة لتوظيف المثل، وهو ما تحاول هذه القراءة تبيانه عبر مقاربتها لبعض نصوص الشاعر.

يبرز المثل في شعر «بوجلاوي» بصور عديدة تعكس براعة الشاعر في الصياغة وقوة السبك، بالقدر الذي تدلّ على عمق تفكيره، وأصالته الفنّية والثقافيّة تجعل ما يصبّ فيها من روافد ينصبغ بطابعها ويكتسب ملامحها

المتميّزة التي تأبى التّقليد والجمود. ويتمّ استعمال الأمثال – من خلال ما استقرأناه في شعر عبد السّلام بو جلاوي – عبر ثلاثة مستويات أو سبل: أوّلها ما جاء فيه المثل بطريقة مثبتة محافظة في الغالب على صيغة المثل، أو بتغيير بعض ألفاظه مع المحافظة على معناه. ويأتي المثل في المستوى الثاني عن طريق نفي ضدّه، وذلك مبالغة في إثبات المعنى وتأكيده. أمّا المستوى الثّالث فهو أن يأتي المثل منفيّاً في سياق يحسن فيه هذا النّفي، ليظهر المعنى المراد بطريق النّفي- ليس نفي الضّد كما في المستوى الثّاني- وإنّما أن يكون المثل نفسه منفيّاً ليفيد معنى أبلغ من المعنى المتحقق باستخدام المثل مثبتاً.

إيراد المثل في صيغة الإثبات :

وهو أكثر الطرق وروداً واستعمالاً، وإن كان «بوجلاوي» لا يكتفي بضرب المثل بصيغته مباشرة وإقحامه إقحاماً على القصيدة، بل يمهّد له ويمزجه ببنية القصيدة. ومن هنا يغدو المثل جزءاً لا يتجزأ من بناء القصيدة الفنّي والنّفسي والجمالي، وليس مجرّد عبارة مقتبسة يؤكّد بها المعنى ويمكن للقصيدة أن تستغني عنه.

1 - المثل : " ان جاكم القاطر من بين الكرب وين اتغدو ياهل البيت ؟! "

بعث الشاعر «بشير جبريل الفاخري» بيتاً من الشعر لبوجلاوي يقول فيه:

((مغير خواطر .. من ضيم جرح كدّاني وهو يسّاطر
مالي غرض في الشّعر.))

وهو بيت يذكرنا بعبارة الفيلسوف الألماني " نوفاليس " وكان مولعاً بالشعر: " إن الشعر يداوي الجراح التي يحدثها العقل. "

((وقد ردّ «عبد السلام بوجلاوي» على البيت السابق بقوله :

مغير نهوّن .. علي قلب زاريبه كدر وتكوّن .
وفيه جرح جاير مطرحه متجوّن .. علي دواه
ماو قادر طبيب يخاطر
راقد مريض ومرقده متروّن .. من بين الكرب نازل عليه القاطر.))

هنا يصرّح الشاعر بأنه لا ينظم الشعر إلا ليهوّن على قلبه المفعم بالأحزان والمصائب ((تكوّن))، من «كاينة» أي «مصيبة». إن الجرح ليس سطحياً بل هو غائر في الأعماق "متجوّن»، وقد استعصى علاجه على الأطباء، حتى مجرّد محاولة فعل ذلك تعدّ مخاطرة غير مضمونة العواقب. هذا المريض طريح الفراش (المتروّن)، وهي كلمة منتقاة تعطي دلالة عميقة المعنى تتمثل في التقاء هموم وأحزان متباينة واختلاطها، فهي تحمل أجواء قاتمة معتكرة. ولأن هذا «التروّن» يحتوي على البلل فهو يمهد لتوظيف المثل. أمّا «الكرب»، فهو عبارة عن لوحتين أعدّتا خصيصاً لكي لا يثقب عمود منتصف البيت (الجابر) سقف البيت، و يدلّ «القاطر»- وهو تسرب المياه ونزولها في قطرات متتابعة – على عيب أو خلل بالبيت. وبحكم كونه هرمياً، فإن حدوث هذا القاطر بين الكرب – أي في منتصف البيت – أمر بعيد الاحتمال، لذلك نجد دائماً المقتنيات الثمينة لأهل البيت توضع في منتصفه، وفي حال حدوث هذا الخلل الذي يعد مؤشراً لعطب البيت وخرابه برمته، لن يكون هناك أي ملجأ يلجأ إليه أهل البيت، ومن هنا جاءت جملة المثل الاستفهامية الإنكاريّة: وين تغدو ياهل البيت ؟ التي تحمل في طياتها الجواب اليائس بأنّه ليس ثمة مهرب لأهل البيت المعطوب . ولو حاولنا استكناه المعنى الخفي الذي رمز إليه الشاعر بتوظيفه لهذا المثل لربما وجدناه في خلافات أسرية أو عائلية تسببت في إساءات لحقت بالشاعر:

2 - المثل " اللي معلق بالرقيق يطيح " .

ويستخدم هذا المثل في أكثر من موضوع، وهو يعني أن الأشياء غير المبنية على أرض صلبة،

وقاعدة صحيحة سرعان ما تسقط وتنهار (تطيح) عند أول محكّ لها، ويستخدم كناية عن الصداقة المبنية على المصلحة والانتفاع، وليست المقامة على المشاعر الإنسانية النبيلة المنزّهة عن الشوائب، كما أن المثل يشير أحيانا إلي النّاقصين (عديمي الأصل) من البشر وفاقدي القيم. وقد أورده الشاعر في قصيدته الشهيرة (موايز ولد لجواد)، وهي قصيدة طويلة يوظف الشاعر فيها مجموعة من الأمثال المتنوعة بأسلوب فنيّ محكم، وصياغة لفظية أجادها الشاعر ليحتل بها الصدارة وسط الشعراء الكبار .

((لجواد في الكروب تبان بمواقفها .. منين الملفّق في نهار الشيل
معلاقه رقيق يطيح وين تهفّه .. إن تمّت الريح مصادرة الرحيل.))

3- المثل: " القل صابون الرجال يبيّن أخياهم " كما يقال أيضاً : " الكروب تبين الرجال "

وهو مثل واضح يعني أن الفقر يكشف عيوب الرجال، كما أن الشدائد والكروب بصفة عامة تتضح فيها معادن الرجال .

((تبيّن عيوب الناس وتنظّفها .. يقولوا العازة للرجال غسيل
فيهم جميع الخافية تكشفها .. إن صار كرب ما يصمد إلا الأصيل.))

وهنا يوضح أنه لا يصمد في وجه شدائد الدهر وغدر الزمان إلا من يتصف بالأصالة أو كما يقال باللهجة الدارجة " ابن الأصل " ويوظف الشاعر المثل نفسه مع توضيح له بشكل آخر في قصيدته :

((اللي العين ما رضيت بزول بديله .. مقطوع الرجا منه بكل وسيلة.))

حيث يقول :

((والناس في الكروب أسرارها تكربها .. نين كل حد يطلع علي تاصيله
يبان في المواقف زينها واعطبها .. كيف مالقماش يبان بعد غسيله

واحد سماحة لون يزداد بها .. ولا خر يبان خياه وتهلهيله .))

4- المثل : " لجواد حشفهم تمر " :

و»الحشف» هو ما يبس من التمر، وهو يشير إلى أن أقل شخص في مرتبة الأجواد يحوز كافة الصفات الكريمة، وبالتالي يدلّ على أنه لا يوجد شخص سيء بين الأجواد، وقد حور الشاعر هذا المثل ليقول إن أقل شخص مرتبة في الأجواد هو أفضل من الآخرين الذين لا ينتمون لهذه الفئة :

((وخير من بعض م التمر ريق حشفها .. لجواد نخلتهم غالبة النخيل.))

5- المثل : " السيل له جرة " :

وهو يشير إلى أن السيل لابد أن يترك أثراً على الأرض، ويستخدم للتدليل على أن ابن الرجل الكريم لا بد أن يحمل صفات أبيه، ويقال أيضاً: " خلفة الخير ما تخيب "

((السيل جرته في لرض ما اتخفى .. وخلفة أخيار الناس جرة سيل .))

6- المثل: " الربيع يبان من فم البيت " :

هو مثل شهير كثير التداول، وهو واضح الدلالة على الخير الذي تبدو بشائره من قبل الوصول إليه.

((ومارة الربيع المتكي في الرفّة .. مع فم البيت يشاهد الزغليل))

7- المثل: " يضعف الجمل وما تشيله قفه " :

وهو يستخدم للإشارة إلى أن الرجل القويّ يظل دائماً صبوراً لا يلين مهما جار عليه الزمان .

8- المثل: "الشاه مهما تسمن ما تشيل حمل الجمل" .:

أي أن الشاة وإن أصبحت قوية، لن تستطيع أن تحمل ما يحمله الجمل، وفي هذا إشارة الى مراتب الرجال وتفاوت قدراتهم في الاضطلاع بالمسؤوليات.

((حتي لو ضعف لشقر مدورم خفّه .. وطاح م الجفا فوق الوطاه هزيل هشيمة عظامه ما اتجي في القفّة .. والشاه لو تقوّت ما الحمل تشيل.))

9- المثل: " يردع به ويميل به " :

وهو يعني يساويه ويتفوق عليه، وقد أورده " بوجلاوي " من ضمن مشاركته للشاعر «عبد الله بالروين» في قصيدته :

((مالك ومال غرامه .. خليه خاطري عايش عقاب أيامه مرتاح م الغلا .))

وهو من ضمن التعبيرات التي تجري مجرى الأمثال، إذ تمتلك بعض خصائص المثل، لكنها ليست مثلا، فهي لا تشكل خلاصة تجربة معينة، وهو ما تؤكده الباحثة «نبيلة إبراهيم» إذ تقول في هذا الخصوص: " من الواضح أن هذه التعبيرات تمتلك بعض الخصائص الفنية للمثل، ومع ذلك فهي لاتعد أمثالاً، فنحن لا نتفوه بها في نهاية تجربة عشناها، وإنما نتفوه بها على سبيل تأكيد الموقف وتوضيحه، فهي أقرب إلى باب الكنايات والتعبيرات الشعبية منها إلى باب الأمثال، ومن ثم فلا يحق لنا أن نخلط بينها وبين الأمثال بأيّ حال من الأحوال."[1]

ويكثر استخدام هذه التعبيرات في الحوارات اليومية حيث تستخدم لتأكيد مواقف معينة، أو لإثبات وجهة نظر خاصة، وأحياناً تستخدم في مناسبات خاصة كقولنا للذي يصل قبل ابتداء الطّعام (حصانك جراي). [2]

والجدير بالذكر أن هذه التعبيرات تكتسب أهمية خاصة في الحوارات اليومية، ولاسيّما في ربوع البادية لدرجة أن "الشخص الذي يقّصر في قولها – خاصة تعابير الجز والزرع والحصاد – يعتبر مقصراً في حق الجماعة الذين قدم عليهم"[3]، فقد تجد من يلوم قريبه لأنه لم يبارك له قائلاً: "مبروك ما تجز" أو " لا اسلمت من صابه". وهذه العبارات لاتعدّ أمثالاً، مع أنها تدرج مع الأمثال،

ولكنها تختلف عنها في أنها لم تكن نتيجة تجربة، ولا تقدّم حكمة، إنّما قد ترد لغرض التفاؤل، أو لطلب التّسلية والفكاهة، ومنها ما يساق على سبيل الاعتذار كقولهم لمن يأتي متأخرا بعد الأكل "فاتك السو".[4] حيث يقول بوجلاوي:-

((**وان عادل غلا مهرك غلاك وماح ..**
وخاطرت ع اللي موجته تطامى))

أي اذا تساوى حبك مع غلاء مهرك – وهنا إشارة إلى ظاهرة غلاء المهور في تلك الفترة – ورجحت كفة الحب، وقرر الشاعر خوض المخاطرة بدخوله البحر (رمز المخاطرة). حيث يقال : "خش ع البحر " أو " خش علي تيار " لكنّه يخشي أن تأتي الرياح بما لاتشتهي السفن :

((**خايف ينوضن في البحر لرياح ..**
بما يكره البحار والعوامة.))

في إشارة واضحة إلى بيت المتنبي الشهير الذي صار مثلا معروفاً :

((**ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه ..**
تأتي الرّياح بما لا تشتهي السّفنُ.))

10– المثل: " كلام لولين لو كان زرب ما هلبه حد "

11– المثل: "حق السراب بدّد الشراب" :

«الزرب»، عبارة عن سياج من حطب، ومنه اشتقت لفظة الزريبة، وهذا المثل يتداول عند النصح بضرب أمثلة من أقوال الأسلاف حيث يقال: "لو كان كلامهم زرب ما هلبه حد، قالوا كذا كذا."

والمثل رقم (11) يقال لمن يفرط في شيء بين يديه طمعاً في شيء آخر بعيد المنال، ويوظف الشاعر المثلين بطريقة فنية بليغة فيقول :-

((يدير في طريق المارين سناح .. الجيل لوّلي
لو كان زرب كلامه
قال من يبدد ماه ع الضحضاح ..
يندم أرياه وما تفيد ندامة.))

نلاحظ هنا استخدامه للمثل رامزاً بالماء إلى زوجته، فهو وإن كانت حياته الزوجية لاتخلو من منغصات – كما يؤكد ذلك في القصيدة نفسها بتوظيف مثل آخر – لا يودّ التضحية بها من أجل امرأة أخرى بعيدة المنال.

12– المثل: " نص بطن في برقة ولا بطن في الخشة." :

و«الخشة» منطقة رملية لا يوجد بها مرعى ولا كلأ، في حين تشتهر برقة بمراعيها الخصبة، والشاعر هنا يحوّر هذا المثل ليؤكد المعنى الذي شرحناه سابقاً بخصوص إشارته لحياته الزوجية التي وإن لم تكن بالصّورة المثالية التي يريدها الشاعر فإنها ماتزال أفضل من علاقة أخرى تبنى على الزّيف والخداع حيث يقول :-

((**علي نص شبعه في مري ركاح ..**
ولاشبعته في وطن فيه وخامه.))

13– المثل: "ما يحس النار إلا واطيها"

وهو مثل مشهور كثير التداول يعني أنه لا يشعر بالألم والوجع إلا صاحب الوجع نفسه، وليس الآخرون الذين ينصتون إليه، أو ينظرون إلى حالته، ويقال في السياق نفسه: "اللي مافيك باردة." يقول الشاعر في قصيدته الغزلية ذات المطلع :

((**ديرن عليهم طار ..**
اعزاز اغتنوا بالغير يالنظار حتمت ياسهم.))
((**مغير مايحس بحرق وتبهديل ..**
إلا من مشى حفيان فوق النار

ونلاحظ هنا أنّ الشاعر يؤكّد معنى المثل بإضافته لكلمة «حفيان»، أي حافي القدمين، وذلك لتأكيد الشعور بلذع النار، لأنه من الممكن أن يطأ المرء ناراً ولا يشعر بشدّة حرقها عندما يكون منتعلا الحذاء .

كذلك قد يحوّر الشاعر في المثل بتغيير كلمة أو بالإضافة ليس لتأكيد المعنى فقط، وإنما للاحتراز من الفهم الخاطيء له، ففي نفس القصيدة نجد الشاعر يغيّر كلمة من مثل

شهير وهو:

14- "الراكب يقول سوقو" :

حيث استبدل لفظة "سوقو" بلفظة "الغب"، وذلك احترازاً من الفهم الخاطيء، إذ قد ينصرف الذهن إلى قيادة السيارة، وبالتالي يفرغ المثل من محتواه ولا يبلغ مضمونه الذي يعني أن المرتاح لا يشعر بما يشعر به المتعب. فالراكب هنا تعني من يمتطي جملاً أو ناقة ويقول : "سوقو" لسائقي القافلة، وهم راحلون يشعرون بالتعب من طول السفر، في حين يكون هو مرتاحاً، لذلك تعمّد الشاعر استبدال كلمة «سوقو» بلفظة «الغب» التي لا تعني سوى سوق الحيوانات، ثم نجده في عجز البيت يؤكد المعني الذي اراده:

((**والراكب يقول الغب بلا تعطيل ..**
أخطيه التعب من طولة المشوار.))

إيراد المثل عن طريق نفي الضّدّ :

إن ورود المعنى قد يكون بإثباته مباشرة، وقد يكون بطريقة غير مباشرة عن طريق نفي ضدّه، فقد يصف المتكلّم شخصاً – مثلاً – بأنه «صادق»، وقد يصفه بالصدق بأن ينفي عنه الكذب؛ فيقول : ((إنّه غير كاذب)). إن المتكلّم في الجملتين قد وصف الشخص بالصّدق، فالمعنى الظّاهر في الجملتين واحد، وإن اختلف الأسلوب فيهما. غير أنّ هناك دقائق أسلوبيّة يعرفها أهل اللغة والمنطق تميّز أسلوب الإثبات عن النّفي، ويعزّز السياق خصائص كل أسلوب بما يقتضيه من الاستعمال الفنّي الذي يدلّ على مهارة المتكلّم في تخيّر الأسلوب الذي يلائم ما يريد أن يقدّمه من معان بما يوافق سياقها وملابساته. ومن ثمّ فإن الشّاعر «عبد السّلام بوجلاوي» لا يكتفي بتعزيز معانيه باستعمال الأمثال، بل إنّه ليتصرّف في أسلوب المثل نفسه فيورده بصيغة جديدة تظهر مهارة الشاعر اللغويّة، واقتداره الفنّي بما يكسب المثل مدلولات جمالية تزيد المعنى قوة وجمالاً.

15- المثل: " الطيور علي أشكالها تقع " :

حيث يقوم الشاعر بإثبات هذا المثل عن طريق نفي ضده في قصيدة مطلعها :

((**إن درت خير في زين تاجد أمثاله ..**
وأصحاب النذالة
إن قادرتهم بادروا بالفسالة.))

وفيه تأثير بيت المتنبي الشهير :

((**إذا أنت أكرمت الكريم ملكته .. وإن أنت**
أكرمت اللئيم تمردا))

ويقول :

((**الطاير إنزاله .. يرفض علي أشكال ماهن**
أشكاله.))

فالشاعر هنا بدلاً من استعمال المثل بطريقة مباشرة فيقول مثلاً : "الطاير انزاله .. يوافق أشكال هن من أشكاله!"، ويستقيم معنى البيت ووزنه أيضاً، لكن عند ذلك يكون الشاعر قد قدّم المثل بصورته العادية النّثريّة المباشرة الخالية من الشّعريّة المؤثّرة التي تميّز شعر «بوجلاوي». لذلك جاء بالمثل بنفي ضدّه، وهو أن ينفي نزول الطير على شكلٍ ليس شكله، فالمعنى – إذن – هو وقوع الطير على أشكاله وأشباهه، بما هو معروف في المنطق من أنّ نفي النّفي إثبات .

إيراد المثل بصيغة النّفي :

وفيها يأتي بالمثل منفياً، وذلك مبالغة في تأكيد الصفة التي يريد إثباتها. وهنا لا يأتي المثل كاملاً للاستشهاد بصيغته كلها وإنّما يستخدم المثل بطريقة يمكن أن يكون فيها مثبتاً، غير أن نفي حدوث فعل المثل يزيد المعنى رسوخاً وجلاءً، ويكسبه ثراءً ورونقاً ما كان ليتحقق لو أثبت الشاعر المثل بصورته العاديّة.

16- المثل : "اعضضان ملحوقة" :

«الملحوقة» هي الناقة التي تنوء بثقل ما على ظهرها من حمل أثناء السفر، والحمل عبارة عن «غرارتين»، والمفردة «غرارة»، وهي جراب توضع به الأغراض، وتشد الغرارتان إلي

بعضهما بعود خشبي متين يسمي " الشظ ." وسميت الناقة "ملحوقة" لأن الشظ يلحق بظهرها فيسبب لها ألماً شديداً لدرجة أنها أحياناً تعضّ نفسها من شدّة الألم .

يقول الشاعر محمود العبار:

((**لاشكن، لاجضّن**
بحمول وصلايب ع الكتوف انشظّن
حتى وين طاحن.))

في هذا البيت يستعير الشاعر صفات الإبل التي تتميز بالقوة والصبر والتحمل ليطلقها علي مجموعة من البشر وهي صور مطروقة في الأدب الشعبي والأمثال الشعبية إذ كثيراً ما يرمز للرجل الحكيم الصابر بالجمل الذي يمتاز بالتحمل فيقال : ((فلان يشيل ع الدبر))، ومفردها " دبرة "وهي أثر جرح قديم ناتج عن الأحمال التي حملها في السابق، وفي هذا القول كناية عن الهموم والصعاب التي خاضها ذلك الرجل حتي عركته الحياة وكثيراً ما يوصف شيخ القبيلة بهذه الأوصاف مثلاً : ((الشيخ الفلاني كيف جمل العلايق))، و((العلايق)) هي نوع من الأحمال تعلق علي الجمل الصبور الهادىء. وفي هذا كناية عما يضطلع به الشيخ من مسؤوليات، ومن خوضه غمار المشاكل المختلفة، كذلك تحمله لأصناف مختلفة من البشر .

وقد كان الشاعر «محمود العبار» في هذه الفترة يتابع مشاهدة محاكمة الرئيس العراقي السابق «صدام حسين» ورفاقه، فأعجب الشاعر بثبات هؤلاء الرجال وعدم تراجعهم عن مبادئهم رغم فداحة التهم الموجهة اليهم مما جعله يصفهم بالصفات آنفة الذكر .

رد الشاعر عبد السلام بوجلاوي :

((حواهن خاوي ..
وراس شظ عروتهن عليهن هاوي
تعابا وسايقهن شديد وفاوي ..
وأيام السّفر بامرارهن ما فضّن
إلا مغير يمتلكن عزوم مقاوي ..
بهن في صحاري حافيات يقظّن
بحمول عالدّبر شقّن فجوج خلاوي ..
ملاحيق، لكن ما بعضهن عضّن .))

((الحوا)) عبارة عن قطعة رداء، أو رواق قديم يتم وضعه علي ظهر الناقة، وذلك في حالة عدم وجود ((الحويّة))، وهي جراب ينسج من الصوف ويملأ بالقش ثم يتم وضعه علي ظهر الناقة حماية لها من الشظ. ويستخدم «الحوا» لنفس الغرض، وهنا يشير الشاعر إلى هذا «الحوا» الذي هو في الأصل أقل حماية لظهر الناقة من الحوية، فما بالك إذا يكون خاوياً أي ليس به أيّ شيء يقي ظهر الناقة ويحميه من ألم الشظ؟! وهذه الإبل اعتراها التعب من طول المسافة، زد على ذلك أنّ سائقها لا يمتلك أية صفة من صفات الرحمة والشفقة ليريحها من العناء، بل هو شخص شديد (فاوي)، وهي مفردة تطلق علي الشخص سليط اللسان، وربما يرمز الشاعر بها الي شخصية القاضي في محاكمة الرئيس العراقي. وما يهمنا هنا هو الصور التي يمهد بها الشاعر للمثل حيث إن هذه الإبل قد تعبت لأنها تنوء بأحمال ثقال، ولايوجد علي ظهورها ما يقيها من آلام الشظ، والرحلة طويلة وشاقة في قيظ الصحراء، وسائقها رجل فظّ، قاس، غليظ القلب! لذلك كلّه نتوقع عندما يذكر الشاعر لفظة «ملاحيق» أن الشاعر سيذكر أنهن قد عضضن بعضهن بعضاً، وهو أمر مفهوم ومقبول بل ومبرّر انطلاقاً من المثل ذاته ((اعضضان ملحوقة))، إذ قد نلتمس العذر لمجموعة الإبل في فعل العض .

غير أن الشاعر هنا يوظّف أداة الاستدراك (لكن)؛ لينبئنا أن شيئاً غير طبيعي قد حدث، وهو أنّ هذه الإبل – بالرّغم من كلّ معاناتها وعذابها – لم يعضّ بعضها بعضاً، ولم يؤذ بعضها بعضاً، أي أنها احتملت كل أصناف الأذى والتعب والهوان بقوّة صبر وعزيمة مذهلة. إن ايراد المثل منفياً أضاف دلالة قوية علي المعنى وخالف توقّعات السامع ليباغته ويدهشه بهذا الصمود العجيب، ويدفع السامع إلى تأمّل المعنى والانتقال من دلالة الصورة المباشرة إلى الدلالة الأعمق وهي الصورة المرموز بها عن الرئيس العراقي وأتباعه بعد سقوط العراق. لاشك أن القارئ يدرك معي مدى توفيق الشاعر في استعمال المثل وصياغته بهذه الطريقة التي تدلّ على أصالته وإبداعه.

وفي الختام، لعلّنا – في هذه القراءة السريعة – قد ابتسرنا القول في هذا الجانب الثّريّ والمشوّق لدى الشاعر «عبد السلام بوجلاوي»، فذكر الأمثال والموروث الشّعبي والعربي أيضاً يمتدّ وينسرب في ثنايا معظم أشعار هذا الشّاعر المبدع. لكننا قصدنا تسليط الضوء على هذا الجانب الذي لا نحسب أ نّه قد طرق سابقاً، مع أنّ جوانب كثيرة في تجربة هذا الشاعر الغنيّة، وإنتاجه الوفير تتطلّب العديد من القراءات والدّراسات النّقديّة لما تمتاز به من جودة فنّيّة محكمة، وإبداع أصيل.

الهوامش :

1. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط3، ؟ ص 188 .
2. محمد المزروقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، ص 41 .
3. محمّد سعيد القشاط، الأدب الشعبي في ليبيا، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1 1968 م، ص 49 .
4. السابق، الصفحة نفسها .

الدكتور عثمان أبوزيد رئيس تحرير مجلة الرابطة في مكة المكرمة لمجلة الليبي :

المحتوى العربي هو الأكثر فقراً على شبكة الانترنيت

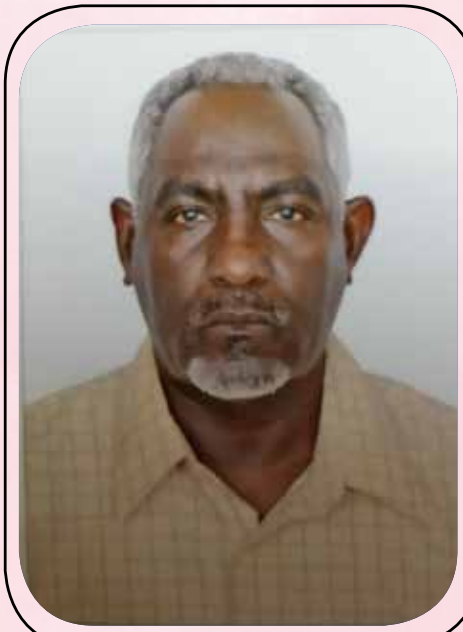

الأستاذ الدكتور عثمان أبو زيد، ضيفنا هذا العدد يشغل حاليا وظيفة مستشار إعلامي ورئيس تحرير مجلة الرابطة في مكة المكرمة، وهو متخصص في تدريس الإعلام بالجامعات العربية، وله مؤلفات عديدة، آخرها كتاب لغة الإعلام، تناول اللقاء بعض الهموم والمشكلات المتعلقة باللغة العربية في هذا العصر الرقمي، وما يراه ضيفنا من رؤية لمستقبل هذه اللغة الشريفة.

حاورناه بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية فكانت هذه الحصيلة :

كيف يمكننا جعل اللغة العربية منافسًا قويًا للغات المحلية في البلدان الآسيوية وفي الهند على سبيل المثال؟

ليس المطاوب أن نجعل اللغة العربية منافسة للُّغة الوطنية ولا بديلاً عنها، وعلاقتهما علاقة تكاملية، أو هكذا ينبغي أن تكون، ولا سيما وسط الشعوب المسلمة، حيث للعربية موقع خاص وينظر إليها المسلمون على أنها لغة مقدسة، ولو استطاعت اللغة العربية أن تكون اللغة الثانية بعد اللغة القومية فهذا هو المرغوب فيه، وإن كانت بعض الشعوب المسلمة قد تعرَّبت إلى درجة أنها اتخذت اللغة العربية لغتها الأولى.

رأيت في إندونيسيا وماليزيا وضعًا متقدمًا للُّغة العربية، وبالأخص لدى المسلمين، ورأيت ذلك في نيجيريا وأجزاء من الساحل الإفريقي الشرقي، ونرى اللغة العربية في دولة مثل جنوب السودان، هي لغة التخاطب الوحيدة بين القبائل المختلفة. وأنا مطَّلع بدرجة ما على أحوال اللغة العربية في الهند، وهي جيدة في مناطق مثل «كيرالا»، وأقل مستوى في أماكن أخرى، وكل هذا بدافع ثقافي، إذ تعدُّ اللغة أحد أبرز الرموز الثقافية، فبقدر الاحترام والقبول للحضارة العربية والإسلامية يكون للغة شأنها وعزُّها.

كيف يمكننا أن نَجعل اليوم العالمي للغة العربية يوماً عالمياً ليس في العالم العربي وحده بل في جميع أنحاء العالم؟ وإلى أي مدى أنتم راضون عن الأثر الذي يحدثه الاحتفال بهذا اليوم في التعريف باللغة العربية؟

الغرض من هذا اليوم هو إزكاء الوعي باللغة العربية وتعزيز مكانتها، وكما هو معلوم؛ فإن منظمة الأمم المتحدة أرادت أن تجعل من تاريخ إدخال اللغة العربية ضمن لغات الأمم المتحدة يومًا للاحتفال، ويشتمل الاحتفال على مناشط علمية وثقافية في أرجاء العالم، وتتخذ الجهات ذات الصلة المباشرة باللغة العربية شعاراً لكل عام، وكان شعار العام الماضي «العربية والعلوم».

في شهر ديسمبر من العام الماضي في وقت الاحتفال بهذا اليوم زرت مجمع اللغة العربية في الخرطوم العاصمة السودانية ووقفت على العديد من البرامج المعدَّة، وكان هناك احتفاءٌ خاص بالمعجم التاريخي للغة العربية الذي يرعاه حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان القاسمي، وكلما كان الاحتفال عملياً، يكون ذلك أفضل.

وللإجابة عن الشق الثاني من السؤال أقول: لست راضيًا عن الأثر الذي يحدثه هذا الاحتفال، لأن الكثير من الجهات تتجاهل هذا اليوم أو تكتفي بمظاهر احتفالية لا مغزى منها.

ما هي الجهود والبرامج والرؤى المحتملة لرفع نسبة المادة المنشورة باللغة العربية في الشبكة الدولية من حيث الكم ومستواها من حيث الكيف؟

هذا سؤال جيد، لاحظ بعض المشتغلين بدراسات الحاسب الآلي في اليابان أن اللغة العربية تتصدر سائر اللغات باعتبارها أكثر اللغات وضوحًا صوتيًا في استخدامات الحاسب الآلي، يضاف إلى ذلك إحصائية المتكلمين باللغة العربية التي تؤكد أنها خامس لغة عالمية، ومع كل ذلك تبقى نسبة المحتوى العربي في حدود 3% فقط من المحتوى العام، ويبقى أهل العربية هم أفقر الناس من حيث المحتوى الموجود في الشبكة العالمية.

قبل ثمانية أعوام، كنت في «جاكرتا» أقدم محاضرة لطلاب الدراسات العليا في جامعة «شريف هداية الله» الإسلامية، وقد سألني أحد الطلاب عن الفقر الشديد في المراجع والمصادر المتاحة باللغة العربية في شبكة المعلومات الدولية، وقال إن منهج الاقتباس عندهم يمنع الأخذ من مصادر غير محكَّمة، لكن أغلب المجلات العربية المحكمة لا وجود لها في الانترنت.

لعل الوضع اليوم أفضل من تلك السنوات، لكننا نتطلع للمزيد، والمأمول عناية أكبر بالمحتوى العربي كمًا وكيفًا، ويحصل ذلك بتطوير المحتوى

من حيث الصياغة الحسنة وتقديمه في وعاء فني راق، إن كان الطعام جيدًا وطريقة تقديمه غير جيدة فقدنا شهيتنا، لنجعل من تطوير المحتوى الرقمي للغة العربية مسؤولية شخصية، وعلى كل فرد أن يتولى هذه المهمة بنفسه.

ما هو الدور الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات التربوية والتعليمية والبحثية مثل المدارس والمراكز والجامعات في التعريف باليوم العالمي للغة العربية؟

يمكن للمدارس أن تجعل حصة مدرسية للحديث عن اللغة العربية ومكانتها في العالم وضرورة العناية بترقيتها، وفي الأنشطة اللاصفية مثل الإذاعة المدرسية وطابور الصباح والجمعية الأدبية؛ مكان ملائم لتناول موضوعات اللغة العربية، والمراكز والجامعات بإمكانها أن تخصص برامج ثقافية وعلمية، ويعد لها من وقت مبكر، ويجب ألا يقتصر الاحتفال بأهل اللغة العربية وحدهم، بل يشارك فيها الآخرون لتحقيق التنوع الثقافي وفكرة العالمية التي أرادتها الأمم المتحدة.

كيف يمكن تقوية وحماية اللغة العربية في ظل التضييق الذي يمارس عليها؟

لا شك أن هناك مظاهر لتراجع اللغة العربية، كما نشاهد في سوق العمل حيث تستفحل اللغة الأجنبية، وتكاد تطرد اللغة الوطنية، نشاهد ذلك في المطاعم والفنادق والمستشفيات، ونلحظ ذلك في أسماء العمل والشركات، وفي اللافتات المرفوعة ،هذا ناشئ من عقدة قديمة أشار لها «ابن خلدون» بتقليد المغلوب للغالب في نحلته ولغته وسائر عوائده.

ويوم أن كانت الغلبة للحضارة العربية الإسلامية، كان الأوروبيون يقلدوننا، نشأت أولى الجامعات في المغرب العربي وفي سنة 841 م أقام المسلمون أول جامعة في أوروبا، ويوم قامت «أكسفورد» كانت لغة تعليم العلوم بالعربية وكان كبار العلماء الأوروبيين يستخدمون المصطلح العربي في الطب والكيمياء وسائر العلوم، أكبر حماية للغتنا تكمن في وحدتنا وقوتنا وتقدمنا الحضاري.

إلى أي مدى أسهمت أو تسهم الجهود الحالية لنشر اللغة العربية للناطقين بغيرها؟ وهل ما تقوم به مؤسسات تعليم العربية للناطقين بغيرها كاف برأيكم أم أن هناك المزيد مما يمكن القيام به في هذا الاتجاه؟

تتهيأ اليوم فرص أكبر في تنمية اللغة ونشرها، وجود القنوات الفضائية والمواقع الالكترونية تتيح فرصة عظيمة لتلقي اللغة، كان نادرًا في الماضي أن تسمع اللغة من أفواه بنيها، ولا يحصل ذلك إلا بالانتقال من بلد إلى آخر أو في الحج والسياحة والتجارة، الآن يستطيع كل راغب في تعلم اللغة أن يسمعها سائغة فصيحة عن طريق الوسائل الإعلامية.

وطبعًا التلقي المباشر أكثر أثراً، ومن تجربتي الشخصية فإن الانتقال إلى بلد تتكلم اللغة والاندماج في ثقافتها والاحتكاك اليومي يساعد في تحصيل اللغة والتعمق بها، أما المعاهد الخاصة بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، فلا شك أنها اضطلعت بدور مهم في نشر اللغة العربية، وقد شهدت مولد أول معهد على نطاق العالم عام 1974م، هو معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربية، الذي أصبح تابعاً لجامعة الدول العربية، وانتشرت هذه المعاهد في كل أرجاء العالم اليوم، بل نشأت معاهد في أمريكا واليابان والصين تسد حاجة تلك البلاد لدارسي العربية الذين يرومون العمل في الدبلوماسية أو التجارة أو السياحة.

التطورات التكنولوجية والتحولات الرقمية؛ هل كان لها أثر إيجابي أم سلبي على اللغة العربية؟

لها أثر إيجابي وأثر سلبي، لكن الإيجابي أكثر بالطبع ،عندما كتبت رسالتي للدكتوراه التي نوقشت عام 1989م، وكانت عن لغة الخبر الصحفي، كنت بدأت الدراسة بفرضية أن

الصحافة كان تأثيرها سلبياً في اللغة العربية، لكني انتهيت إلى نتيجة بعكس ذلك، وأثر الصحافة في تنمية النثر العربي واضح، إذ أنشأت الصحافة نثراً وسطًا بين فصحى التراث والعامية، وهي اللغة الإعلامية السائدة اليوم.

على ذلك نستطيع قياس الأثر الإيجابي والسلبي الناجم من التطور الرقمي، وبأيدينا اليوم توجيه هذا التطور لمصلحة لغتنا وهويتنا أو أن نتقاعس ونجعلها وبالاً علينا، صحيح أن العولمة كانت وطأتها على الشعوب ثقيلة جدًا، لكن من الممكن أن نوجه العولمة لمصلحتنا.

عندما أتانا الاستعمار جعل لغة التدريس هي لغة المستعمر، وكان إلى وقت قريب كانت اللغة التي ندرس بها في مدارسنا بجمهورية السودان هي اللغة الإنجليزية، وفي مصر صدر عام 1899 م قرار بجعل لغة التعليم في كل المراحل باللغة الإنجليزية، واستطاع الوطنيون أن يقاوموا هذا التوجه، ولا شك أن نشأة المراكز والمعاهد والمدارس الدينية في شبه الجزيرة الهندية كانت رد فعل أيضاً لأعمال المستعمرين.

هل يكفي اللغة العربية يوم عالمي للاشادة بها وبتاريخها؟

لا يكفي طبعاً، لنجعل اليوم العالمي يوما للتذكير بمهامنا الحضارية، ويوماً للتوعية، هناك يوم نسميه يوم الأم، فهل نجعل لأمنا يوماً واحدًا في العام، ونهملها سائر الأيام، هذا غير مقبول!

بناءً على قولكم عن الأثر السلبي لحالة العولمة على العديد من الجوانب الإقليمية بما في ذلك اللغات؛ هل تعتقد أن القبول العالمي للغة الإنجليزية تهديدًا لنمو اللغة العربية؟

تفرض اللغة الإنجليزية نفسها في بعض المناطق من العالم، وكذلك اللغة الفرنسية كما هو الحال في شمال إفريقيا ،هذه الهيمنة يمكن أن تأخذ بعداً سلبياً عندما نهمل اللغة القومية بالكامل أو يكون نمة اللغة الأجنبية على حساب لغاتنا الوطنية.

بعض البلاد قلبت المعادلة مثل ماليزيا، وأحياناً تفرض الخريطة اللغوية في بلد ما إستراتيجية معينة، فقد جعلت ماليزيا اللغة الإنجليزية لغة أساسية في التعليم والإدارة، وما كان لهم في وجود ثلاثة إثنيات إلا أن يفعلوا ذلك، وأظن أن المحصلة كانت إيجابية.

المهم في التخطيط اللغوي ألا تطغى لغة على أخرى بالكامل، بل إن التخطيط السليم يجعل من وجود لغة أجنبية سبب إثراء للغة القومية، حتى في الإطار التأهيلي الشخصي امتلاكك للغة جديدة، هو تقوية للغتك الأصلية، أنا درست اللغة الإنجليزية في المدرسة والجامعة، ودرست الفرنسية بجهد خاص وألمت بطرف منها، وكان ذلك تعضيدًا لملكتي اللسانية بشكل عام وتعريفاً باللغة الإنجليزية بشكل أفضل.

في ظل العلاقة العريقة التي بدأت منذ فترة طويلة مع العالم العربي وثقافته، هل تعتقد أن ولاية «كيرالا» تستحق إشارة خاصة فيما يتعلق باللغة العربية وانتشارها في جميع أنحاء العالم؟

ثمة مراكز ومساجد ومعاهد مشهورة في «كيرالا» من قديم، ولعل اسم المنطقة كما فهمت هو محرف من الاسم العربي «خير الله»، ولغتها «مالايالم» هي «ما لايعلم» بالعربية، كما أخبرني سفير السودان السابق في الهند الدكتور «الخضر هارون».

وتعرفت على مجموعة طيبة من خيار أهل «كيرالا»، وهم أكثر أهل الهند صلة بالحضارة العربية الإسلامية ،وبي رغبة في زيارة هذه البلاد، وسبق أن تلقيت دعوات كثيرة لكن الظروف لم تسمح، نرجو أن تسلم الهند وبلاد العالم كافة من هذا الوباء ويتاح للناس من جديد أن يسيروا في الأرض دون عوائق... ضمير المسلم لا يعرف الحدود!

رسالة الأردن

جاليري إربد المعاصر

هاجر الطيار. الأردن

إحتفاءً بمئوية الدولة الأردنية، وبمدينة "إربد" عاصمة للثقافة العربية للعام 2022، افتتحت الناشطة الثقافية والفنية ورائدة العمل التطوعي الدكتورة إيمان الجودة، أول معرض (جاليري) للفن التشكيلي، ومعرض دائم للفن المعاصر في اربد، بالتعاون مع مديرية الثقافة بالمحافظة، مما يتيح الفرصة للفنانين اقامة معارضهم الشخصية والجماعية.

وقد شارك في هذه الفعالية العديد من الفنانين، من داخل الوطن وخارجه، من بينهم: محمد الكساسبه، عصام سيلاوي، طارق ابو عرجه، صباح غريز، راما الصلاحات، امتياز الصمادي، هاجر الطيار، رنا الصمادي، خليل الكوفحي، عبير حمودي، جواهر السيد، بوسك لي، اوقتاي اوغلو، مصطفي اوغلوا.

الجاليري، الذي تأسس عام 2015 كمحترف شخصي للفنان «خليل الكوفحي»، يسعى لرعاية الحركة الفنية التشكيلية الأردنية والعمل على مساعدة الفنان الأردني بالانفتاح على ما استحدث في الفن المعاصر من خلال اقامة معرض دولي دائم وتنظيم المعارض والنشاطات والمهرجانات الفنية المحلية والدولية والعمل على الارتقاء بالفن التشكيلي الأردني نحو العالمية.

كما يقيم الجاليري ورشات فنية وأعمال تشكيلية تطوعية في الجامعات والمدارس وكافة مؤسسات الدولة العامة والخاصة، ويعمل

على تأسيس مركز تدريب في محافظة إربد يتيح الفرصة أمام أبناء المجتمع المحلي لتنمية مواهبهم وقدراتهم في الفن التشكيلي والخط العربي.

هذا وقد تم تخصيص قاعة للفن المعاصر باسم الدكتورة «إيمان بدري الجودة» وذلك تكريماً لها على دعمها الكبير للحركة الثقافية والفنية في إربد. القاعة تضم أعمالاً فنية مهمة ومعاصرة لفنانين اردنيين وعرب وعالميين، تتناول معظمها البيئة والاثار والتراث والطبيعة الاردنية الخلابة، نفذت باسلوب وتقنيات فنية معاصرة. ويتجاوز مجموع عدد الفنانين المعروضة اعمالهم بالجاليري الأربعين فناناً من الاردن والدول العربية والاجنبية.

ويشير الفنان «خليل الكوفحي» الى أن أهداف الجاليري تشمل رعاية ودعم الإبداع والمبدعين في مجالات الفنون التشكيلية كافة، وتوفير ظروف ملائمة لنشر أعمالهم وإقامة المعارض التشكيلية لهم داخل الأردن وخارجه خلال الجاليري.. المساهمة في تنمية قدرات الفنانين التشكيليين من خلال الدورات التي يعقدها الجاليري على مدار السنة.. التبادل التعليمي والثقافي مع كافة الجاليريات في الدول العربية والأجنبية. كما يوفر الجاليري قاعة عرض ومحترف فني ومركز تدريب لتنمية كافة المهارات في للفنون التشكيلية والخط العربي.. المشاركة في المهرجانات والمؤتمرات والفعاليات الفنية التشكيلية محلياً وعربياً ودولياً.. اقامة معرض دائم للفن المعاصر في الجاليري لأشهر الفنانين العرب والعالميين.. اقتناء الاعمال الفنية المنفذة في الملتقيات الفنية التي ينظمها الجاليري على مدار السنة. نشر الثقافة الجمالية وتنمية الذائقة الفنية في الاردن، وتوفير الأجواء الملائمة لكافة الابداعات التشكيلية مع تحقيق التواصل الدائم مع الفنانين العرب والعالميين وتسويق الفن الاردني والترويج له عربيا وعالميا، وإقامة وتنظيم الملتقيات والسمبوزيومات المحلية والعربية والدولية.

ويحق لأي فنان تشكيلي، من مختلف القدرات الفنية وعلى المستوى المحلي والعربي والدولي اقامة معرض شخصي أو جماعي بالجاليري من خلال تقديم طلب خطي باسم مدير الجاليري يقدم قبل موعد اقامة المعرض بمدة لاتقل عن إسبوعين على ان يصل الرد سواء بالقبول أو الرفض بعد أسبوع من تقديم الطلب، وسيقوم الجاليري بتأمين الرعاية المناسبه للمعرض والدعاية له والاعلان عنه في مختلف وسائل الاعلام، الى جانب ترتيب المعرض والإشراف الفني عليه وتأمين كافة متطلبات الرعاية وحفل الافتتاح.

وحول تأسيس "نادي الرسم الحر" يقول الفنان خليل الكوفحي: "يستطيع أي فنان او موهوب ممارسة فن الرسم او الخط العربي في الجاليري وذلك بهدف اتاحة الفرصة أمام أبناء المجتمع المحلي بتنمية مواهبهم وقدراتهم التشكيلية وذلك بالتعاون مع أسرة الجاليري وجمعية الرواد للفنون التشكيلية. والعمل على مساعدة الفنان الأردني وخاصة في اربد بالانفتاح على ما استحدث في الفن من خلال تنظيم المعارض والنشاطات والمهرجانات الفنية المحلية والدولية والعمل على الارتقاء بالفن التشكيلي الأردني نحو العالمية. بالإضافة إلى تقديم الخدمة للمجتمع المحلي من خلال تنظيم المعارض وورشات عمل تطوعية في المدارس والجامعات وكافة مؤسسات الدولة العامة والخاصة.

ويولي الجاليري اهتماماً خاصاً بتنمية المهارات الابداعية لدى الأطفال، وذلك من خلال اقامة ورشات عمل فنية متخصصه لهم في اصول الرسم والتلوين والتذوق الفني والخط العربي وتحسين الكتابة، بالاضافة الى اقامة معارض فنية خاصة بالأطفال المبدعين.

وبنهاية المعرض تم تكريم الفنانين المشاركين وراعية الحفل وثلة من الحضور والمهتمين.

رسالة فلسطين

لا تصدّقوا أبدا أنّ الكتب تغني عن الإنسان ..

موعد مع أدباء 48

خاص الليبي

«أنا من بدّل بالكتب الصحابا»، هذا ما حدث أمس السبت (9 أكتوبر 2021) حيث تركت معتزلي وانعزالي وكسرت «حرمة السبت» لديّ، وتوجهت إلى «جنين» برفقة الكاتب السفير «منجد صالح»، شربنا القهوة في السيارة، وتجاذبنا أطراف حديث شائق متعدد متشعب، وصلنا ولم نشعر بطول الطريق التي كانت تخلو من المنغّصَين: الأزمة وسيارات المستوطنين؛ مما أفرح الصديق «منجد».

في «جنين» كان الأمر عادياً، على موعد مع ثلة من أدباء فلسطين المحتلة عام 1948، بترتيب الصديق العزيز «حسن عبادي»، و«اتحاد الكتاب الفلسطينيين الكرمل 48»، لقاءات وأصدقاء وأحاديث كتب وثقافة، لا شيء جديد سوى التعرف على أماكن أثرية في المحافظة، زرنا كنيسة «برقين»، وهي رابع أقدم كنيسة في العالم، في «برقين» 68 مسيحياً فقط. أثارت الصديق منجد كلمة «فقط» التي رددها عدة مرات «معين جبور» خادم الكنيسة، شاب طويل نحيف أسمر، في كلامه لثغة غير سيئة بحرف السين، لكنها لفتتني على نحو لطيف. يبدو على «جبور» أنه شاب نزق ولا يتحمل النقاش ولا الأخذ والرد. لكنه غني بالمعلومات عن كنيسته وتاريخها وما فيها. أظنه أعاد هذه المعلومات آلاف المرات لطلاب المدارس والزائرين الذين يأتون إلى الكنيسة ليستمعوا إليه.

تزعج «معين» الأحاديث الجانبية من

الحضور، مما أفسد الأجواء وأثار عصبيته، وقارن الكتّاب بطلاب الصف الخامس الذين هم أحسن حالاً منا نحن الكتّاب، فمبجرد أن تقول للطالب اسكت فإنه يسكت، أما نحن فقاطعناه ثلاث مرات قبل أن يتمكن في المرة الرابعة من مواصلة الحديث.

تركنا الكنيسة لنذهب حيث يرقد الشيخ «سبع»، المكان لا تبدو عليه الهالة الدينية، هو أشبه بمتنزه، بعدها إلى «عرابة» حيث قصور «آل عبد الهادي»، وهي الزيارة الثانية لي إلى هذا المكان، ليس الأمر لافتاً للنظر أو للاهتمام، هناك؛ الكلام مكرر، والشعر لا يشبه الشعر إلا قليلاً منه، عادي جداً وأقل، وقع الشعراء في نفق الحرية، وظلوا هناك يجوسون منطقة الشعر حيث أرهقوها وأرهقوا الشعر وأرهقوا المستمعين، ولم ينقذنا من حمأة هذا الاضطراب اللغوي سوى رفع آذان العصر، فقد كنا جلوساً في الساحة الأمامية للمسجد. قطعت جهيزة هذه المرة صوت الكلام ليعلو صوت الآذان ولا صوت يعلو فوق صوت الحق!

في لقاء «جنين» أيضاً بعض الفائدة، رأيت أصدقاء لأول مرة، ومنهم الكاتبة الجميلة «منال دراغمة»، تواعدنا قبلاً كثيراً أن نلتقي، ولم يحدث ذلك، ثمة أشغال وأعمال ودوام وروتين عمل قاس، وظروف غير مناسبة، وكورونا، وأشياء أخرى، كنت فيما سبق، ومنذ مدة على اتصال دائم بالكاتبة «منال دراغمة»، ونتحدث عبر الهاتف كثيراً في شؤون الحياة والثقافة والمثقفين، امرأة مثقفة بلا شك.

حدثت بيننا فجوة وجفوة وانقطاع منذ العدد الواحد والعشرين لمجلة الليبي (سبتمبر 2020) التي نشرت مقال «شرعية الكتابة الإلكترونية المشتركة»، وهو قراءة لكتاب «لا مساس للحزن»، كتاب مشترك لمنال والكاتب الأردني سامر المعاني، تفاجأت الصديقة منال بالمقال، لم تعترف بالنقد الذي فيه، ولم تعترف بي ناقداً موضوعياً، ورفضت نشره على صفحتها. فانقطعت العلاقة، وامتنعت عن الاتصال بي وتحديد موعد للقاء أو تجديد موعد، لكننا بقينا أصدقاء فيسبوك صامتين. أمس الصدفة كانت خيراً من ألف ميعاد، إذ لو تواعدنا أن نلتقي لاختلفنا في الميعاد، فلربما يحدث ما يمنع هذا اللقاء، فكان عفوياً، مفاجئاً، صادقاً، وحيوياً، وفيه من الجمال ما فيه.

أمس، السبت 9 أكتوبر كان يوماً جميلاً إذ عادت الأمور إلى شيء من طبيعتها مع منال، تحدثنا، وترافقنا في كل مراحل الجولة، لكنها ما زالت تتهمني أنني أشرعت سكاكيني في لحم النصوص بلا رحمة. عاتبة، ولكنها ذات قلب طيب، كما قالت، فتجاوزت عن ذلك. لا أدري هل بقي في نفسها شيء مني؟ بالتأكيد لن يزول الأمر بسهولة، فقد جرحت كبرياء النص والكتابة. كانت تثق بي ناقداً وصديقاً وكاتباً، فانهار كل ذلك بفعل مقال واحد. لله در الكتابة ما أشد خيانتها أحياناً .

قفلنا عائدين، ونهمّ بركوب السيارة، كان لنا حديث أنا ورفيق الدرب «منجد صالح» مع الأستاذة «سحر أبو زينة»، تربوية، قوية، ذات إرادة، تقاضي السلطة بسبب إحالتها على التقاعد القسري، فالسلطة تنتقم من موظفيها بطريقة شنيعة، أحالتها إلى التقاعد في يوم المعلم الفلسطيني قبل نحو عام (2020/12/14)، اهتممت بقضيتها في ذلك الحين، وعممت قضيتها على الإعلام تحت وصف «قضية رأي عام»، وراسلت المواقع التي أتعامل معها، كان الأمر قاسياً بالتأكيد. لم نلتق ولم نتحدث قبل يوم السبت هذا، ولا أذكر أنه كان بيننا تواصل من أي نوع حتى على هوامش الكتابة من تعليقات وتفاعلات. لكنها تعرفني جيداً بوصفي كاتباً ذا خيال وقدرة وجرأة، وأنني واحد من خمسة كتاب

يمنعونها من الكتابة، إذ إنها تتوجس مني، فكيف لها اللحاق بي.؟ كلامها عني أشعرني بالخجل كثيراً، إذ أفاضت بالمدح، فالتقت هي و«منجد» في معلقة مادحة، تمنيت أن يكفّا عن المدح والوصف. «سحر» تحضر للماجستير في الجامعة الأمريكية ضمن برنامج حل الصراع، وتستعد لنشر كتابها الأول.

الأستاذة «سحر» قريبة لسعادة السفير «منجد صالح»، فأبوه المرحوم الحاج «أبو المنجد» وأمها الحاجة «صبحية» أولاد عمّ، حقيقة ومفاجأة أسعدتهما معاً، فمن الجميل أن تخرج من البيت دون خال لتعود بخالٍ آخر النهار كما علقت بفكاهة لطيفة «سحر أبو زينة».

لم تنته المفاجآت وعندما علمت أنني من تلفيت، أليست هذه القرية التي تدخل إليها من «زعترة» و«يتما»؟ سألتني. أجبتها نعم إنها هِيَ هِي. مفاجأة أخرى، لقد كانت «سحر» بضيافتنا الليلة الفائتة لشأن عائلي عند أحد أعز أصدقائي. ثمة قرابة لها في «تلفيت»، أنا و«منجد» صرنا على علاقة وطيدة مع «سحر»، ما يعجبني في هذه المرأة أنها قوية وغير مهادنة، وقاهرة للمصاعب، وما زالت تناضل من أجل أن تعود إلى وظيفتها.

المحزن في قصة «أبو زينة» أن السلطة رفضت إعطاءها «حسن سلوك». إنه اغتيال معنوي أشد ألماً من التقاعد القسري أو الاغتيال الجسدي. ثمة عنف عند الأمن السلطوي ليس له منطق بل إنه أسوأ ما يكون. تخيل بعد خمس وعشرين سنة مربية أجيال ومديرة مدرسة ومؤتمنة على أطفالهم، رفضوا أن يعطوني شهادة «حسن سلوك». تقول ذلك بمرارة وتأثر. لكنها تقول ذلك وهي تتحدى معنوياً وعلى أرض الواقع كل عناصر الغباء السلطوي الزائد عن الحد.

المفاجأة الثالثة في طريق العودة، يركن السفير «منجد صالح» سيارته على جنب الطريق ليتحدث بالهاتف، نحن الآن إذاً على مشارف «سيلة الظهر»، أفهم أننا سنذهب إلى أحد أصدقائه. إنه الدكتور «نبهان عثمان»، دكتور في الهندسة ودكتور في الاقتصاد، وله أبحاث كثيرة ومقالات وكتب، قامة وطنية وعلمية وعقل اقتصادي فلسطيني فذ، ذو تجربة كبيرة وغنية، وزيادة على هذا وذاك فإن نبهان رجل فيه من الاستقامة والنزاهة والبعد عن «عهر» المسؤولين السياسي والمالي والاجتماعي بعد السماء عن الأرض، ما جعل بعض رجالات السلطة وإمّعاتها ينقلبون عليه، وهو الأمين العام لاتحاد الاقتصاديين الفلسطينيين الشرعي المنتخب بنزاهة مطلقة، ينقلبون عليه بطريقة عنجهية فظّة ليس فيها احترام للقانون ولا للإنسان ولا لكفاءته العلمية التي طبّقت شهرتها الآفاق شرقاً وغرباً. لقد رفض رشاويَ وصلت إلى ملايين الدولارات.

لم تكتفِ المؤسسة الأمنية بتخريب «الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين» والسيطرة عليه بالهيمنة الأمنية وتعيين الأمين العام غصباً عن المنطق وعن الإرادة الحرة للكتّاب الفلسطينيين، أرادوا أيضاً أن يقضوا قضاءً مبرماً على الاتحاد العام للاقتصاديين الفلسطينيين الذي يضم في عضويته عشرات الكفاءات ممن يحملون درجة الدكتوراه من الاقتصاديين الأكاديميين. يستبدل بهم الأمن طلاباً وأعضاء غير اقتصاديين، ليشكلوا اتحاداً بديلاً بتعيين أمين عام جديد؛ عسكري متقاعد، وأعطوه المقر والشرعية، وتم طرد الهيأة الشرعية المنتخبة حسب النظام الأساسي، حالة عنف سلطوي تلتقي مع حالة الزميلة «سحر أبو زينة» فالمنطق هو هو، إنما الفرق في تجسيد هذا العنف وتجلياته.

وصلنا إلى بيت الدكتور «نبهان»، لا أحد في البيت، البيت مرمم حديثاً، بيت والده، هذا البيت الذي شهد اجتماعات قادة ثورة

1936، انتظرناه قليلاً حتى أتى، شاب أسمر، مفعم بالحيوية، من مواليد عام 1949. ليس غريباً على هذا الرجل أن يهزم «الكورونا» شر هزيمة، فهو عنيد وصلب وصبور.

يجري الحديث بيننا بسلاسة، كأنني أعرفه منذ زمن، المفاجأة الأكثر انبهاراً أن جده «أسعد عثمان غانم»، جاء لزيارة قريتنا «تلفيت» على حصانه، وكان الفصل شتاء، وقع عن الحصان وتوفي في القرية ودفن فيها. فقبر جده موجود في «تلفيت» إذاً، وكان على علاقة مع جدّنا «الحج محمد»، فكانا ينتميان إلى شريحة واحدة، إقطاعيان، ولهما هموم ومصالح مشتركة. هذا ما يذكره «نبهان» من أيام طفولته وكان في حدود عشر سنوات، يحفظ اسم القرية واسم المضيف جد عائلتنا الأكبر إلى الآن، تقفز إلى ذهنه القرية والاسم بمجرد أن عرّفني «منجد» عليه وقدّمني إليه بحفاوة وحب وصدق رغبةٍ في أن نكون أصدقاء.

هكذا أصبحت الصورة مكتملة عن الصديق الجديد «نبهان عثمان غانم»، ذي الأصول الإقطاعية، لكن أباه وأعمامه قادة في الثورة، ثورة 1936، ومنهم «أبو خالد» والد الشاعر المعروف «خالد أبو خالد»، وتم الاعتماد على سيرتهم ونضالهم في التغريبة الفلسطينية التي كتبها الدكتور «وليد سيف»، فأبو صالح في التغريبة هو والد «خالد أبو خالد». وعم الدكتور «نبهان» ووالده لهما وجود محوري في التغريبة. بل إن كثيراً من أحداث التغريبة قد عاشها أو سمعها من أبيه وأمه وأعمامه أو من معارفهما في المدن الفلسطينية الأخرى.

عدا ذلك، فإن الدكتور «نبهان» ذو ذاكرة حية متوهجة، يستذكر كثيراً من الأحداث والمواقف في الوطن وخارجه، ووقوفه ضد عمليات النهب والسرقة الوطنية والعربية للمال العام، ووقوف «سلام فياض» ضده عندما كان «فياض» وزيراً للمالية، فبدا شخصاً غير مرغوب فيه، لأنه نزيه أكثر مما ينبغي! وتم إيقاف راتبه لمدة عشر سنوات متتالية

ليتقاضى منه مبلغاً زهيداً، مع الحرمان من التأمين الصحي. تذكرنا جميعا كيف تعاقب القيادة الفلسطينية أبناءها بحبسهم وإيقاف رواتبهم والتضييق عليهم إن هم تمردوا، كما حصل مع «عزت أبو الرب» ومع «خالد أبو خالد» و«محمود درويش» وها هو الدكتور «نبهان» ينضم إلى هؤلاء المعاقبين.

لدى الدكتور «نبهان» الكثير من الأسرار المفاجئة الصادمة السياسية والشخصية، ويصلح أن يكون شاهداً على العصر، وعلى حقبة من النضال الفلسطيني، بكل ما فيها من محطات وتقلبات، وكواليس وانتقادات وكوارث وطنية ترقى إلى أن تكون جرائم في حق هذا الشعب الذي ما زال يفتقد إلى الوعي العام المحرك، ليثور ضد سلطة ونظام يسيران به نحو الهلاك المحتم! وكم أتمنى أن يكتب كل تلك الأسرار في كتاب لعله يساهم في كلمة للتاريخ، ليأتيَ جيل يقرأ عن فظائع القيادات التي لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً. بل إنها تشجع كل أنواع المنكرات السياسية والمالية والشخصية.

امتدّ بنا الوقت في ضيافة الدكتور «نبهان عثمان غانم» حتى ساعة متأخرة من الليل، لم أكن أرغب- حقيقة- أن ينتهي لقاؤنا، فرجل مثله، ذو تاريخ علمي حافل، ونضالي مشرّف لا يحسن أن ينتهي الحديث معه. اقترحت على صديقي «منجد صالح» أن نبيت ليلتنا عنده، لكنه لم يناقش الفكرة بتاتاً، فلا بد من أن يكون صباحاً في رفقة أولاده الذاهبين إلى المدرسة.

خرجنا من البيت ولكنه ظل يرافقنا طوال الطريق، فهو معنا عدا كتابيه اللذين أهداهما لي «الاتفاق الإسرائيلي- الفلسطيني بين السياسة والاقتصاد» و«تشيكوسلوفاكية بين تأثير الماضي واضطراب الحاضر والخوف من المستقبل»، فقد أمهر توقيعه على الكتابين، فكتب أولاً: «صديقي العزيز فراس الحاج محمد أهديك هذا الكتاب عله يكون مفيداً مع خالص احترامي وتقديري»، أما الكتاب الآخر فكتب إهداء بتأثير من الصديق «منجد»، فجاء على هذا النحو «إلى صديق صديقي العزيزين مع خالص احترامي وتقديري أهديك هذا الكتاب كي تصل إلى نتيجة كيف القيادة لها دور في انهيار الدول... تحياتي».

هذا اليوم جعلني أومن بالشطر الأول من بيت شعر للشاعر «أحمد شوقي» يقول فيه: «أنا من بدل بالكتب الصحابا»، نعم لقد استغنيت عن الكتب في هذا السبت، ونفضت نفسي من مرقدها في عزلتها، لأتعرف على ما هو أهم من الكتب، الأصدقاء الذين قابلتهم؛ فهم أفكار حية تعيش وتتنفس، وكتب نابضة بالحياة، وتستقي منها التعلم مباشرة. فما حاجتك للكتب وعندك أصدقاء كهؤلاء!

رحم الله «أحمد شوقي» كم كان متشائماً ومتجنّياً في شطر البيت الثاني عندما قال: «فلم أجد لي وافياً إلا الكتابا»، فلا أجمل من الأصدقاء كأنهم أشجار معرفة مثمرة بما يغذي العقل ويمتع الروح.

شكرا لك صديقي «منجد صالح» وأنت تهديني أصدقاءك، فلا أجمل من هذه الهدايا، فخير جليس في الزمان هم الأصدقاء، لا الكتب، وليغضب «المتنبي»، أصدقاء رائعون على شاكلة «منجد» و«نبهان» و«منال» و«سحر»، و«حسن عبّادي» الذي كان سبباً في هذا الجمال كله، فلولا الحج إليه لأراه وصحبه في جنين لم يكن ليحدث معي كل هذا.

فكم غريب هذا اللقاء، فقد كان قليل الكتب، غزير المعرفة. لا تصدقوا أبداً أن الكتب تغني عن الإنسان، صداقةً ومحبةً ومعرفة.

10 تشرين الأول 2021

برقة الهادئة

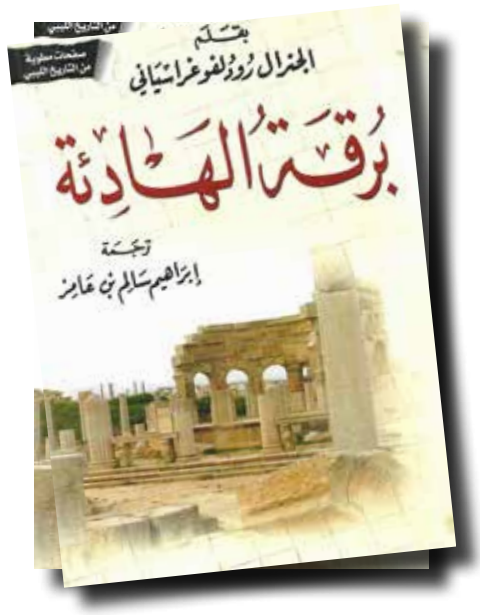

في ١٥ فبراير ١٩١٣ م تم احتلال وادي العرقوب معقـــل الثوار وفي ٢٢ فبراير كانت انتصاراتنا في معركة سيدي مهيوس وفي نفس اليوم قـــام البدو بهجوم مضاد في العرقوب ردته الفرقة الاربعة السابعة وفي يوم ٢٤ فـــبراير احتلت قواتنا في شحات اسلنطة ، ويوم ٢٦ منه كانت معركة أم شخنب ويوم ٢٨ منه كانت معركة مرتفع الشليظيمة ويوم ١١ مارس ١٩١٣ م احتلت فرقة لانتيني منطقة الزويتينة حيث التقت الفرقة بالقوات المسلحة المتحركة من بنغازي ونزلت بالزويتينة يوم ١٩١٣/٣/١٢ م وتجمعت القوات في ١٩١٣/٣/١٦ م في الزويتينة وتحركت جميعها نحو اجدابيا تتقدمها المدفعية الثقيلة ، ولكن القوات واجهت مقاومة عنيفة ودفاعاً مستميتاً من الثوار فانسحبت القوات المهاجمة مرة ثانية إلى الزويتينة بعد ان نسفت المدفعية الثقيلة اجدابيا حتى مسحت مبانيها من على وجه الارض .

مزامير الشعر العربي
في إفريقيا السمراء (2)

أشرف قاسم. مصر

محمد الأمين جوب :

شاعر وأديب سنغالي مقيم بالمغرب ــ طالب في المرحلة الماجستير في تخصص الأدب والنقد بجامعة محمد الخامس بالرباط ــ فاز بجائزة أفضل شاعر سنغالي عام 2017م.ـ فاز بجائزة أحسن قصيدة في مدح الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالمغرب بتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. فاز بجائزة أمير الشعراء في موسمها الثامن، حيث حصل على أعلى درجة من لجنة التحكيم والمركز الرابع بتصويت الجمهور . شارك في عدة مهرجان شعرية محلية ودولية:

طفلاً أسافرُ بيْ إلى مدنِ الكلامْ
وقصيدةٍ تنسى ورائك والأمامْ
متأملاً في يقظةٍ كبرى
فحيث هنا المرايا لا تشفُّ ..
ولم تزل مهزوزة بدموع من في الأرض في
جهة الغمامْ
يستفسر الراؤون هل هذي مراياي
القديمة؟
قلتُ : لا . . لا ، إنها سحبٌ تنامْ
هربت مدائنُ صالح من قلعها
وتضايقَ السكانُ من فَرط الزحامْ

عبد المنعم حسن محمد :

الجنسية: جمهورية مالي. تاريخ الميلاد:31 ديسمبر 1985م. مكان الميلاد :مكة المكرمة. مكان الإقامة: جمهورية مالي، باماكو. درس في كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.. النشاطات:

إحياء أمسيات شعرية في مالي والسنغال وغانا وساحل العاج. نشرت له قصائد ومقالات في صحف أفريقية كالإستقلال، وعربية كعكاظ والمدينة وغيرها. إقامة أمسية شعرية في ملتقى باشر ظهور تلفزيوني في القناة الثقافية السعودية. المشاركة في أمسية في نادي عبقر. إحياء أمسيات شعرية في مالي والسنغال وغانا وساحل العاج. الانجازات الأدبية: المركز الخامس في مسابقة أمير الشعراء، الموسم الثامن. المشاركة في مسابقة الشعر في الأسبوع الثقافي لجامعة دول مجلس التعاون الخليجي المقام في جامعة الإمارات. الفوز بالمركز الثالث بمسابقة ليالي الشعراء في جازان. المشاركة في مهرجان الشارقة للشعر العربي الدورة الثامنة عشرة :

سمعت صوتا هاتفا في السحر
قم.. وامض. قد عرف المسافر دربهْ
الطائر الجواب يتبع سربَهْ
كانت مسافات الوصول خواتما
حجريةً.. ويدُ المفازة نُهبةْ

كان الفنار معلقاً في غيمة
والبحر! شاطئ مركبات الغربةْ
تأتي السلالم طوعَ ما تأتي له
فالباب. باسم الله. يفتح قلبه

عبد الله موسى بيلا :

مكان الميلاد والإقامة مكة المكرمة. الجنسية بوركينابي. المؤهل العلمي دكتوراه في الأدب والنقد العربي. من جامعة المدينة العالمية بماليزيا. نشر قصائد وبعض المقالات والمشاركات في الكثير من الصحف والدوريات والمجلات السعودية والعربية، إضافةً إلى النشر الالكتروني في المجلات والمواقع والمنتديات الالكترونية، وتمّت ترجمة بعض قصائد إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية. أُجريت معي بعض اللقاءات التلفزيونية والإذاعية والصحفية. أشرف إلكترونياً على بعض المنتديات الأدبية في الشبكة العنكبوتية. صدرت لي ثلاث مجموعات شعرية الأولى عام 2012م بعنوان» تآويل ترابية «، والثانية صدرت عام 2015 م بعنوان «صباحٌ مرمّمٌ بالنجوم»، والثالثة صدرت عام 2019م بعنوان «سفرٌ إلى الجسد الآخر». إلقى قصائد على منابر ثقافيةٍ رئيسة , بنادي جدة الثقافي الأدبي , ونادي الطائف، ونادي مكة ,ونادي تبوك، ونادي الباحة، ونادي جازان، ونادي نجران الأدبي، ومهرجان سو عكاظ الشعري 2018م. شاركت في النسخة الخامسة من برنامج أمير الشعراء التلفزيوني عام 2013م. فزت بالمركز الأول في مسابقة ملتقى جازان الشعري الثاني عام 2012م. فزت بجائزة المركز الثاني في المسابقة الشعرية الدولية الثانية للعام 2009م وذلك عن طريق تجمُّع شعراء بلا حدود. فزتُ بالمركز الثالث بمسابقة أفضل نص شعري في رثاء الشاعر محمود درويش للعام 2008م وذلك عن طريق تجمّع شعراء بلا حدود. تمّ اختياري ضمن أفضل مائة

شاعر عربي في العام 2013م عن طريق تجمُّع شعراء بلا حدود. شاركت في مهرجان الشعر العربي الثاني في الباحة 2014م. شاركت في مهرجان الشارقة للشعر العربي الدورة الخامسة عشر، يناير 2017م. فزت بجائزة السنوسي الشعرية في دورتها السادسة، يناير 2018م. تأهلت للمرحلة النهائية من مسابقة عكاظ للشعر العربي الفصيح بالطائف اغسطس 2019م. انتظرها ..

مشغولةٌ هي ربما بسواكَ ...
لا تطلق رصاصَ هياجكَ الغيرانِ
إن أنست لغيركَ
سلْ بلادةَ قلبكَ الحجريِّ
كم عشقتكَ؟
كم صدّت سواكَ وأشرعَت أبوابَ جنتها لقلبكَ؟
رافقتكَ طيوفُ فتنتها الشهيةُ؟
دون أن تلقي بنظرتكِ الودودةِ نحوها يوماً
وقد نسجَت مواويلَ انتظاركَ في لياليها الطويلة..

محمد بن فاضل بوصو :

سنغالي من مواليد مدينة «طوبى»، حفظ

القرآن وهو ابن عشر سنوات، ثم التحق بمدرسة ابتدائية حيث جمعها بالتعليم التقليدي حتى حصل على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بالمعهد الإسلامي العالي حيث حصل على شهادتي الإعدادية والثانوية، ثم درس في جامعة «دكار» العاصمة سنتين، وهو الآن طالب بجامعة الكويت متخصص في الأدب والنقد العربي :

أن تستعيد .. مراياي التي اغتُصبتْ ..
صفاءها البكر .. والوجه الذي شردا ..
أن تستعيد الأنا الأخرى
ملامحَها السمراءَ، أن تجد الطفل الذي
فُقدا، أن يدرك البحر فينا ، طعم زرقتِه،
لكي ينظف، عن أمواجه الزبدا
أن يخلع الليل عنا.. ثوب سهرته..
ليستطيع النهار الغضّ .. أن يفدا
أن تسكب الغيمة النشوى.. بكارتها..
حتى يفيض التراب الخصب.. نهرَ ندَى .
أن تلهم الشمس .. للأشجار حكمتها..
حتى تَفَجّر ظلّ الأرض.. متّقدا

يوسف قيس :

هو يوسف بن زكريا بن عبد الله، من قبيلة «تيرا» القاطنة في ولايتي غومبي وبرنو النيجيريتين، ولد في حكومة بيو المحلية، ولاية برنو، في 1 من أكتوبر 1993م، وتلقى مبادئ تعليمه في مسقط رأسه حيث درس في الإبتدائيتين (الإسلامية والأجنبية)، والثانويتين (العربية الإسلامية والعلوم الأجنبية) فيها، ثم التحق بجامعة ميدغري عام 2012م ليدرس اللغة العربية وآدابها، وتخرج فيه عام 2016م.. والتحق ليدرس بمرحلة الماجستير في اللغة والترجمة في الجامعة نفسها عام 2019م، ويعمل محاضراً للغة العربية وآدابها في جامعة الجيش النيجيري «بيو» حالياً.

بدأ يقول الشعر في أواخر السنة 2015 م، عندما كان في السنة الثالثة في الجامعة، وإن كانت هناك له قبل ذلك محاولة أو أكثر في النظم، واشتهر بلقب «قيس» عند أصدقاءه لأن معظم أشعاره غزليات. له ديوانا شعر «همسات السَّحَر» و «شبح الحب» غير مطبوعين بعد.

جناتي :

لي تحتَ صدرِك، يا فَرْعاءُ، جَنَّاتُ ..
وفي جمالِك، لو تدرينَ، مبغاةُ
يا حسنَ عينِك بينَ الجفْنِ واسعةً ..
ووَجْنتَيك إذِ الأزهارُ مِرآةُ
في فَجْرِ ثغرِك للظَّامي كفايتُهُ ..
وفي رُضَابِك للمصَّاصِ خيراتُ

قراءة في كتاب مهم ..

الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و 17 م

إن أصل هذا الكتاب هو أطروحة جامعية أعدها الأستاذ الباحث محمد استيتو لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث تحت إشراف الدكتور محمد مزين، نوقشت سنة (2002) بجامعة محمد الأول / كلية الآداب والعلوم الإنسانية -وجدة-، وحصل بها صاحبها على ميزة حسن جدا، وقد تم طبع هذه الأطروحة في كتاب يقع في (520) صفحة في سنة (2004) بدعم من وزارة الثقافة، وينقسم هذا المؤَلَّفْ إلى تصدير وتقديم ومدخل، وثلاثة مباحث رئيسية، تشتمل على ثمانية فصول وخاتمة وبيبليوغرافيا وفهرس المحتويات.

محمد العساوي. المغرب

خصص الأستاذ «محمد استيتو» مدخلاً عاماً تحدث فيه عن ظاهرة الفقر والعوامل المسببة لها ورأي مختلف المتدخلين حول هذه الآفة، بدءا برأي الدين الإسلامي من خلال الحديث النبوي الشريف «كاد الفقر أن يكون كفراً»، وغيره من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، مروراً بآراء علماء الإسلام أمثال الغزالي وابن خلدون واللغويين العرب مثل ابن منظور، وصولاً إلى رأي المفكرين الغربيين مثل «ميشال مولا»، كما أورد رأي الفكر الاشتراكي الماركسي الذي اعتبر الفقر من بين أهم العوامل الفاعلة في التاريخ.

وقام المؤلف بعدها بجرد مرادفات لأسماء الفقر من قبيل: (بُؤس، شُوم، فاقة، حرمان، حاجة، مخمصة، مسغبة، خصاصة...)، ومرادفات لفعل افتقر مثل: (أخفق، أقفر، أزهد، أجدبَ...)، وأوصاف الفقر كـ : (أخل ومُخل ومُختل وخليل، صُعلوك، عائل ومُعَيِّل، عديم ومعدوم ومُعْدِم...)، كما قام بجرد أوصاف الفقراء في العامية المغربية من قبيل: (بُوهَالِي، التَّاعْسْ، جِيعَان، حَازْقْ، دَرْوِيشْ، اللّه كْرِيم، امْبَهْدَلْ، مَذْلُول...).

4 - المبحث الأول: العوامل الظرفية والهيكلية للفقر في مغرب القرنين (16 و17):

قسم المؤلف هذا المبحث إلى ثلاثة فصول وكل فصل إلى عناوين فرعية، أما فيما يخص هذه الفصول فجاء فيها ما يلي:

4 -1 العوامل الظرفية:

أبرز المؤلف في هذا الفصل الدور الذي لعبته بعض العوامل في نشوء الفقر وتطوره في تاريخ المغرب، وعلى رأسها العوامل الطبيعية، التي ساهمت في تقسيم البلاد إلى مناطق غنية وأخرى فقيرة أو مهددة بالتقلبات المناخية، كما بين آثار الكوارث الطبيعية على أوضاع السكان واستعرض أهم هذه الكوارث:

(المجاعات والجفاف والجراد والفيضانات والفئران والأوبئة) وغيرها من العوامل المؤثرة على أحوال البلاد، والمساهِمَة في استفحال ظاهرة الفقر.

وتحدث بعدها عن الدور الذي لعبته العوامل البشرية: (الحروب والاضطرابات السياسية) في حدوث الأزمات الاقتصادية وفقدان المغرب لعدد مهم من سكانه وعزز ذلك بجداول إحصائية عن الأضرار الديمغرافية التي أحدثتها المجاعات والأوبئة بالمغرب وكذلك الأمراض بمختلف أنواعها (الزهري، أمراض الجهاز الهضمي، صداع الرأس والأعصاب، حمى المستنقعات...).

وناقش أيضاً بعض الكوارث الطبيعية الأخرى مثل العواصف الثلجية والرياح القوية والفيضانات والسيول والصواعق والحرائق والزلازل...، وقدم المؤلف في نفس الفصل تحليلاً للأزمة الديمغرافية، وتأثير الخسائر البشرية على أوضاع المغرب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتسببها في تأزيم أوضاع الفئات الفقيرة والمهمشة، وهجرة السكان إلى الخارج وإلى المناطق الأكثر أمناً في المغرب نفسه أو إلى المناطق المصابة لتعويض السكان.

4 - 2 - العوامل الهيكلية للفقر:

حدد المؤلف العوامل الهيكلية للفقر في ثلاثة أبعاد:

-البعد السياسي: يتمثل في طبيعة المؤسسات السياسية - الاجتماعية التي تتميز ببنية هشة بسبب ما يعتري نظام الحكم في الدول الإسلامية عموماً من خلل في آلياته وهياكله وبنياته، مما يؤدي إلى أزمات سياسية وعدم استقرار الحكم، كما أن الصراع على الحكم داخل الأسر الحاكمة نفسها يعمل على تأزيم الاوضاع السياسية وانعدام الاستقرار وتردي

أوضاع الفقراء.

- البعد الاقتصادي والمالي والتقني: أبرزه المؤلف من خلال التأثير السلبي لسياسة المخزن (الجهاز الحاكم) الاقتصادية والمالية على أوضاع البلاد، وذلك باحتكاره للملكية والإنتاج عن طريق استحواذه على أجود الأراضي وزراعة قصب السكر، والتجارة الخارجية (الأثواب والأسلحة والمعادن والتبر...) واستغلال عائداتها في مجالات غير منتجة (الجيش والبناءات الضخمة والإدارة...)، وفي المقابل عانى المغاربة (خصوصاً الأثرياء منهم) والقبائل والقواد خلال الأزمات من الجبايات الثقيلة ومصادرة الأموال من أجل تلبية حاجيات الإدارة والجيش، وكثيرا ما كان استخلاص هذه الأموال يتم بالعنف ويتسبب في إفقار قبائل بأكملها.

- البعد الاجتماعية – الديني والذهني: تميزت مرحلة القرنين (16 و17م) بظهور مشاكل أثرت بشكل عميق على عقلية المجتمع المغربي، ومنها على سبيل المثال ترسيخ ثقافة الفكر الغيبي (التصوف / المجاذيب / البهاليل / الكرامات / الخوارق...) وتعاظم نفوذ الزوايا والمتصوفة وتأثيرهم الشديد في المجتمع، كما خص صاحب الكتاب موضوع حرمان الإناث من الإرث بعنوان مستقل معتبراً إياه من العوامل المساعدة على انتشار الفقر.

4 - 3 - المجال والسلطة والفقر:

ناقش المؤلف الدور الذي لعبته القوى السياسية في تجويع وتشريد السكان وتأثير الغزو الإيبيري ودور الجهاز الحاكم نفسه، وقد أدى ذلك إلى استفحال الفقر الذي ظهر في عادات الناس الاستهلاكية (المأكل والملبس والمسكن)، وسلوكاتهم وتصرفاتهم، وتطرق المؤلف بعدها إلى أزمة البوادي وخاصة خلال الأزمات الخطيرة، والهجرة منها إلى المدن لأسباب مختلفة (الكوارث، ظروف العيش الصعبة...).

5 - المبحث الثاني: الفقراء: أصنافهم وأسباب كسبهم وحاجياتهم:

قسم المؤلف هذا المبحث أيضاً إلى ثلاثة فصول وكل فصل إلى عناوين فرعية، وقد جاء في كل فصل ما يلي:

5 - 1 - أصناف الفقراء:

صنف صاحب الكتاب فقراء القرنين (16 و17م) إلى ثلاث فئات وهم:

- المعسرون والمفلسون ويتكونون من: الأرامل والأيتام، المطلقات، المعاقين، المفلسين.

- المهمشون ويتشكلون من: المتسولون، العرافون والسحرة والمحتالون، الكنزيون والكيميائيون، أهل التسليات، السراق وقطاع الطرق.

- فقراء بالتطوع ويقصد بهم: فقراء التصوف والزهد.

5 - 2 - الفقراء والعمل:

شَخَّصَ المؤلف في هذا الفصل طرق الكسب والإنتاج عند الفلاحين حيث تعتبر الأرض محور الإنتاج، متسائلاً عن الكمية الكافية لتغذية الفلاحين والمساحات المزروعة وملكية الأرض ووسائل الإنتاج والشركة وخصص حيزاً هاماً للحديث عن الخَمَّاسَة وظروف عيشهم، كما تطرق إلى عدد من الموارد الإضافية التي يستكمل بها الناس موارد عيشهم ومنها بعض الحرف المعتمدة على المواد الأولية الفلاحية، وتربية الدواجن والنحل وغيرها من الحرف واستغلال المناجم والغابة وشغل النساء، واعتماد الصناع والحرفيين على المواد الأولية في النسيج والجلد والحديد والأسلحة والمواد الأولية الخشبية والطينية والتجارة والخدمات مثل الدلالة والسمسرة والحراسة والجندية...

كما أكد الباحث أن فرص الترقي الاجتماعي لدى الفئات الفقيرة ضعيفة، وعندما تضيق الأحوال بالفقراء يلجؤون إلى الاقتراض وبيع أملاك الأحباس والغش والتدليس والاحتماء بالمُتصوفة، ويعتمد البعض الآخر في كسبه على القيام بخدمة دور العبادة (متعهدو

المساجد وخُدام الزوايا، كما يتكسب آخرون من خدمة الجهاز الحاكم أو القبائل).

5 - 3 - الحاجيات:

قدم الباحث حاجيات الفقراء على مستوى السكن والمأوى والطعام واللباس، كما بين أن نوعية هذه الحاجيات تبين مستوى الأشخاص من أغنياء أو فقراء، ولذلك سعى المؤلف إلى الكشف عن أحوال هذه الفئة الأخيرة وظروف عيشهم المتأثرة بإمكانياتهم المادية الضعيفة، وأخير تحدث بالتفصيل عن طرق وعادات أكل الفقراء، كما قدم وصفا دقيقا لمساكنهم وأشكالها الهندسية ومواد بنائها، ثم أبرز أنواع لباسهم سواء عند الإناث أو الذكور.

6 - المبحث الثالث: مظاهر من الحياة الاجتماعية للفقراء زمن العافية وأيام الحرج والضيق:

جعل المؤلف هذا المبحث في فصلين وقسم كل فصل إلى عناوين فرعية، أما محتواه فهو كالآتي:

6 - 1 - مظاهر من الحياة اليومية للفقراء زمن العافية:

وصف صاحب الكتاب الحياة اليومية والعادية للفقراء، بحيث تطرق إلى عدة مواضيع مثل معدل أفراد الأسرة والإنجاب والخلافات الزوجية والإرث ومهام الزوجين (تربية الأطفال والتعجيل بزواج البنات) ونظرة المجتمع إلى المرأة والمهور والاحتفالات بالأعياد والمواسم والمناسبات مثل الزواج والعقيقة والختان وختم القرآن، وأنواع التسلية عند النساء والرجال والشبان (اللعب بالنرد والشطرنج والصيد و«الحلايقية» والمقاهي وجلسات السمر في البوادي والموسيقى...) ومجالس النساء وزيارة المقابر والحمامات، والطقوس المرتبطة بالجنازات والمآتم.

6 - 2 - الفقراء أيام الضيق والحرج:

قسم المؤلف هذا الفصل إلى ثلاثة عناوين فرعية وهي كالآتي:

- الفقراء والتكافل الاجتماعي: شَخَّصَ فيه ظاهرة التآزر بين الفقراء واعتمادهم أولاً على عمل أيديهم وتضامنهم لمواجهة المشاكل، وخاصة حين يتعرض بعضهم لمحنة أو مشاكل مادية قاهرة، ومن مظاهر التضامن استفادة الفقراء من عمليات البر والإحسان والأوقاف المخصصة لهم والإطعام والإيواء وعطاءات السلاطين ـ على قلتها ..

- الفقراء والأمراض والأوبئة: كانوا الفقراء أكثر عرضة للأمراض والأوبئة، وأقل قدرة على تحمل تكاليف العلاج ومصاريفه، وهو ما جعل معظمهم يبحثون عن الحل لدى المشعوذين والأفاقين وأدعياء العلاج، ويستعملون الرقي و«الحُرُوز» ويطرقون أبواب العرافين وغيرهم، ويلتمسون البركة لدى الأولياء (الأحياء منهم والأموات) فيتبركون بتراب الأضرحة ومائها ويغسلون في بعض الحمامات التي يشاع أن ماءها صالح لمعالجة بعض الأمراض، ويلجأ آخرون خلال فترات الأوبئة إلى العلاج بالكي، وبعض المراهم والترياق والاحتراز من الاختلاط حتى بين الأزواج أنفسهم وعدم التنقل، وبينما كان الأغنياء يفرون من الوباء إلى أراضيهم وضيعاتهم كان الفقراء يفرون إلى الغابات والأحراش.

- الفقراء والمجاعات: فتكت المجاعات أكثر بالفقراء خلال الفترة الزمنية المدروسة من قبل الباحث، ولمواجهتها كان الناس يلجؤون إلى الاستسقاء وطلب الغيث والتوسل إلى ذلك بالأولياء والشرفاء، إلا أن ظروف المجاعة تدفع بهم (أغنياء وفقراء) إلى بيع كل ما يملكون، ويستغل الأغنياء ظروف المجاعة لشراء ممتلكات الفقراء ومتوسطي الدخل على قلة أهميتها، وتضطر عدد من النساء إلى تعاطي البغاء، كما يلجأ الناس إلى أكل منتوجات غير عادية (جذور النباتات...)، وإلى تعاطي اللصوصية والسلب، ويستفيد بعضهم الآخر من إطعام الزوايا ويفر بعضهم الآخر عن الأهل والولد، ومنهم من يبيع أبناءه أو يقتلهم وينتحر ومنهم من باع الأحرار على أنهم عبيد، وحسب بعض المصادر فعندما تضيق الأوضاع بالفقراء أيام المجاعات يلجؤون إلى أكل القطط ولحم الحمير والخنازير بل الجيف والموتى من البشر والأحياء منهم أيضاً.

7 - قراءة في خاتمة المؤلف:

ختم المؤلف أطروحته بسؤال جوهري مفاده: هل تمكنت هذه الدراسة من زيادة معلوماتنا عن الفقراء في الفترة المدروسة؟ وبعدها أجاب بقوله هناك بعض الوضوح في الصورة، على الرغم من أن مشكل قلة المادة المصدرية لم يساعد على تبيين وتوضيح الكثير من الجوانب المهمة في الموضوع، لذلك فهذا العمل مدخل لدراسة هذه الفئات ولفت الانتباه إليها.

وبعدها أشار إلى أن بحثه تمكن من تحديد العديد من عوامل الفقر والوقوف على جملة من مظاهره ونتائجه وتصنيف الفقراء ومجالات كسبهم وظروف عيشهم في أوقات الشدة والرخاء، وإن كان طابع التعميم الذي فرضته قلة المصادر غالبا عليه، وظلت الصعوبات المنهجية حاضرة، لأن هذا النوع من الدراسات يحتاج إلى الإحصاء ويحتاج إلى تسليط الضوء في إطار دراسات مونوغرافية، وإلى التمييز بين الفئات المكونة لشريحة الفقراء (الأصول الاجتماعية والفكرية...).

قراءة في الأنحة البيبليوغرافية المعتمدة من طرف المؤَلِّفْ:

استند الباحث في أطروحته على بيبليوغرافيا تتميز بالغنى والتنوع (أزيد من 300 دراسة)، وتتوزع ما بين المصادر الإرادية (كُتب التاريخ العام) سواء المخطوطة أو المطبوعة، والمصادر اللاإرادية (كُتب الرحلات والنوازل الفقهية والسير والتراجم والحسبة والتصوف)، والدراسات الحديثة باللغة العربية واللغات الأجنبية، فضلا عن المقالات والمنشورات في

الدوريات، والأطاريح الجامعية.

إن ما يميز الجانب البيبليوغرافي للباحث «محمد استيتو» هو اعتماده على مجموعة من المخطوطات لم يسبق استغلال بعضها من قبل، كما دعم البيبليوغرافيا ببعض الملاحق التي تشمل جداول وصور وخرائط.

خاتمة:

لقد شكلت أطروحة «الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و17م» للأستاذ محمد استيتو، علامة فارقة في الكتابة التاريخية، ونقلة نوعية من التاريخ الرسمي إلى التاريخ المسكوت عنه، الذي فتح معه الباحث نافذة جديدة للبحث والتعمق أكثر في تاريخ الفقر والفقراء بالمغرب، الذي ظل لقرون عديدة من المواضيع المُغَيَّبة في المصادر التاريخية، وبهذا نجح الباحث بشكل كبير في نحت اسمه في سماء التاريخ الاجتماعي، إذ أصبح اسم «محمد استيتو» مرتبطا في المشهد الثقافي المغربي والعربي بأطروحته، التي لقيت صدى إيجابي سواء في المغرب أو خارجه.

المراجع المعتمدة:

- استيتو محمد، «الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و17م»، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، 2004.
- القادري بوتشيش إبراهيم، «التاريخ الغني للفقراء: تقرير حول أطروحة الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 و17م»، مقال منشور ضمن ندوة: «الأزمات والهشاشة بالمغرب: مقاربات متقاطعة – أعمال مهداة للأستاذ محمد استيتو»، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية -وجدة-، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطابع الرباط نت، الرباط، 2019.

ووهان.. بعيداً عن الوباء

شيكاغو الصين الجميلة

ناسمي محمد/ المغرب

شهد العالم خلال العقود الأخيرة، على إثر تفاقم مشاكل البيئة، نشاطًا مكثّفًا للداعين لاتّباع التقاليد الغذائية الصحيّة والعلاج الطبيعيّ، في ما يشبه ردّة فعل على ما شابَ السلوك البشري من إفراط وانتهاك لضوابط التعامل السليم مع المحيط. فقد بات التحذير من تنكّر الإنسان للمسلك السليم في العيش مدعاة للعديد من المبادرات، الباحثة عن تطوير أعراف جديدة في السلوك العام، تستند إلى ما هو طبيعي وتنأى عما هو مصطنَع ومتَكلَّف. ومجال العناية بالصحّة هو من أكثر المجالات التي باتت تبحث عن هوية فاعلة في المجتمع، تستند إلى ما هو طبيعيّ وغير مصنَّع. فالاهتمام بالمنتوج الطبيعيّ، الرائج تحت مسمَّى البيولوجي، غير الملوَّث والصحّي، هو جيّدٌ للتناول ومفيد للتداوي أمام زحف ما بات يُعرَف بأمراض العصر.

ضمن هذا السياق العامّ صَدَر كتابٌ أخضر، في مداده وفي فحواه، ينتصر إلى إعادة ردّ الاعتبار إلى أساليب المداواة الطبيعية،

بوصفها الطريقة الأمثل لمعالجة العاهات، لما تسندها من خبرات تمتدّ على مئات السنينَ. فالكتاب كما هو وَصفٌ للعديد من سُبُل العلاج للمنغَّصات التي تعكّر صحّة الإنسان بأعشاب ونباتات ومستحضَرات طبيعية، هو أيضا دليل ثريٌّ يطفح بالعديد من الوصفات لتحقيق حسن المزاج، والحفاظ على النَّظَارة، وزيادة طول العمر، وفق تقاليد أديرة الرهبان والراهبات. ناهيك عمّا يتناوله الكتاب من شرح مدقّق في إعداد المساحيق والمشروبات الشفائية وأنواع البلسم ومقادير مكوناتها، وكذلك تقنيات تجميع الأعشاب ومواقيتها ومواسمها حتى تحافظ على خصائصها.

تُوزّع الباحثة «آنّا ماريا فولي» كتابَها إلى قسمين رئيسين: أحدهما يتعلّق بتطوّر فنّ المداواة في الأوساط الدينية إلى حين بلوغه مراتب العلم المعروف بعلم الصيدلة؛ وآخر يتعلّق بالوصفات العلاجيّة والوقائيّة، اِعتمادًا على مرويات أصحابها وممارسيها، فضلا عمَّا تثري به الكتاب من معارفَ متوارَثة على مدى قرون في أوساط النسّاك. نذكر أنَّ المؤلِّفةَ هي باحثةٌ ورحّالة إيطالية معاصرة، مولعة بتقاليد الحياة الجَبَليّة وعاداتها، تابعت ولا زالت حياة الرهبان والراهبات من حيث تقاليدهم في الغذاء والتداوي، وقد أصدرت في الشأن جملة من الأبحاث القيّمة. كتاب «الصيدلية الإلهيّة» الذي نعرضه للقارئ، يضمّ بين دفّتيه خبرات ومعارف متأتّية من قرون بعيدة، في ما يتعلق بخصائص النباتات والتداوي الطبيعي، كما تمّ توارثها داخل الأدْيرة المسيحية بالخصوص، منذ القرون الوسطى وإلى يوم الناس هذا. حيث تعرض صاحبته العديد من الأخلاط والوصفات والمكوّنات، المتداوَلة على نطاق ضيّق، أو غير المعروفة في أوساط العامّة، بَيْدَ أنّها بقيت حاضرة في أوساط المتديِّنين بالخصوص من الرهبان الفرنسيسكان، ممّن يعيشون بدورهم نوعًا من العزلة في مجتمعاتهم الغربية.

تستهلّ الباحثة كتابها بحديثٍ مفصّلٍ عن تقاليد النسّاك في زراعة الأعشاب لغرض المداواة، فعلاوة على ما يميّز صوامع الرهبان والنساك من عزلة وانزواء، بوصفها أماكن للخلوة والتأمّل في العديد من التقاليد الدينية، وليس المسيحية وحدها، أَمْلت الحاجة أن تقوم بداخلها ما يشبه النقاط الصحية للعلاج والمساعدة العاجلة، أكان للمقيمين فيها أو الوافدين عليها، من الضيوف والعابرين. وليس من الصدفة أنّ عبارة مَشْفى في اللغات الأوروبية هي مستوحاة من كلمة «hospes» اللاتينية التي تعني «الضيف». فكان من الضروري أن يتكفّل شخص أو أشخاص داخل الأديرة، بتحضير مواد العلاج الطبيعية

للوعكات والأسقام بمختلف أصنافها. وبحسب التقليد السائد في أحضان الأديرة، عادة ما يتوارث القائمون بتلك المهمّة معرفة متأتّية من نسّاك سابقين، وفي الآن يسعى القائمون إلى تطوير تلك المعارف بالاطّلاع على الخبرات السابقة عبر المدوَّنات والنصوص المتوفّرة. إضافة إلى ما يُعِدّه سكان الدير أنفسهم من ترجمات لما يحتاجونه. ولعلّ أكثر الأعمال شهرة ضمن هذا التقليد أعمال «أبقراط» و«جالينوس»، فضلاً عن مؤلفات «ديسقوريدوس فيدانيوس» و«أودو ماغدينانسيس» و«هيراقليطس وسيلسوس». إذ يعود استعمال العلاج الطبيعي إلى 1500 سنة قبل الميلاد، فقد ثبت استعمال المصريين القدماء والآشوريين والقرطاجيين الأعشاب الطبيّة. وفي فترة لاحقة اهتمّ الرومان أيضاً بزراعة حقول لمختلف أنواع النباتات المخصّصة لأغراض طبيّة.

في مسعى للإحاطة بعوامل ارتباط علم الصيدلة بتقاليد الرهبنة ضمن التراث المسيحيّ الغربيّ، تعود الباحثة «آنّا ماريا فولي» إلى الأصول التي قامت عليها الرهبنة. فمن القواعد التي أرساها مؤسّس الرهبنة القديس «بندكت النيرسيّ» أن يكون في كلّ دير راهبٌ «إنفيرماريوس»، أي راهب قائم على التمريض، «مفعم بمحبة الله، يقظٌ ومسارع لمدّ يد العون» ينشغل برعاية إخوانه المرضى. فهو من يوزّع المشروبات والمنشّطات والأدوية، وغيرها من أنواع العلاج المتاح في ذلك العهد، وهو من يهتمّ بإيقاد النيران للتدفئة، ويتولّى إنارة الدير ليلاً، ويسهر على خدمة رفاقه. كما يتكفّل «الإنفيرماريوس» بغرس النباتات الطبيّة في «المنبت الصحيّ» (hortus sanitatis) المجاور للدير. تذكر «آنّا ماريا فولي» أنّ إحدى البرديات التي تعود إلى القرون الوسطى، تصف مختلف النباتات التي تعمّر «المنبت الصحيّ»، ومن بينها نجد الكمّون والزنبق والمريمية والإكليل، وهي من العادات التي تحوّلت إلى قصور الأثرياء والنبلاء لاحقاً. إذ تملي قاعدة القدّيس بندكت أن يحوي كلّ دير حيزًا أخضر يضمّ الأشجار المثمرة، ومنبتين أحدهما مخصّص للخضراوات ممّا يتناوله الرهبان والآخر للنباتات الطبيّة المخصَّصة للعلاج. وجرّاء ما اكتسَبه الرهبان من شهرة في فنّ الطبابة بالأعشاب الطبيعية، كانوا يخرجون من أديرتهم لمداواة المرضى، غير أنّ المراسيم البابويّة، مثل مرسومَيْ 1227م و 1268م، ومقرّرات المجامع الكَنَسيّة مثل مجمع رانس (1131م) ألزمت الرهبان بعدم مغادَرة الدير. في ظل الحديث عن الصيدلة في أوساط الرهبنة، ينبغي ألا يفوتنا أنّ القوانين الكنسية تمنع اشتغال الإكليروس بمهنة الطبابة، بوجه عام، ولكن السماح بالاشتغال بالصيدلة يأتي للضرورة والحاجة.

خلال العصور الوسطى المبكرة، كان مقرّ الرهبنة البندكتيّة يضمّ محلًا للعقاقير والتوابل والبهارات في جنباته، ترتاده العامّة لاقتناء ما تحتاجه للتداوي والتوقّي من الأمراض والعاهات، ثمّ تبعت ذلك التقليد تنظيمات رهبنة أخرى، مثل الدومينيكان والفرنسيسكان والكابوتشيّين والكرمليّين واليسوعيّين. ونظرًا للثقة العالية التي حازها الرهبان في الإلمام بخبايا علاج الأمراض وطرق المداواة، أُوكِل إليهم أمر تسيير المشافي الواقعة خارج مقرات المؤسّسات الدينية. ولا ننسى أنّ اهتمامات الدارسين من رجال الدين بالمصادر التاريخية والتقاليد القديمة في مجال العلاج والطبابة، قد قادت إلى إنشاء مدرسة ساليرنو الطبيّة الشهيرة، التي حصلت على دعم سخيّ من الطبيب والراهب ألفانو مونتيكاسينو (1020/1015-1085).

وبالفعل تطوّرَ مفهوم الصيْدَلَة في التقليد المسيحيّ الغربيّ، وتحديداً في إيطاليا، داخل حيز الأديرة، حيث تثبت الوثائق العائدة إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ترافق هذا التقليد مع نشأة محالّ لبيْع

العقاقير والتوابل المشار إليها آنفا. ومع تطوّر تلك الصناعة بدأ يُوكل لشخص من خارج الدير شأن إعداد تلك الوصفات التي يحدّدها طبيب يصحبه كاهن، مع اشتراط أن توفَّر تلك الأدوية لقاطني الدير بالمجان. وبخلاف ما ساد في إيطاليا، كان رجال الدين في فرنسا، إبان القرن السادس عشر الميلادي، واستنادًا إلى قرارٍ تشريعيٍّ، غير مسموح لهم بتعاطي مهنة بيع العقاقير ما لم يكونوا مسجَّلين في هيئة ترعى تلك المهنة. واستمرّ ذلك إلى قبيل تاريخ اندلاع الثورة (1789)، التي وضعت حدّا لكافة الصيدليات التي تشرف عليها الأديرة، وعرضتها في المزاد العلني للراغبين في امتهان تلك المهنة، فأصيبت تلك المهنة بنكسة. تبرز «آنّا ماريا فولي» أنّ عديد المنابت الموجَّه إنتاجها إلى أغراض طبية وعلاجيّة قد بقيت تابعة للأديرة الدينية، منذ تأسيسها في القرن السادس عشر وإلى غاية العام 1956، مثل المنبت التابع للرهبان الكابوتشيّين في مدينة البندقية الذي أنشئ خلال العام 1576م.

فقد شاعت تلك العادات المتعلّقة بالمنابت الصحية ومحالّ الأعشاب التابعة للأديرة في مختلف أماكن انتشار التنظيمات الدينية التابعة لكنيسة روما، في أوروبا وخارجها. فداخل أسوار مدينة «دوبروفنيك» العتيقة في كرواتيا، يمكن زيارة الصيدلية القديمة التابعة لدير الفرنسيسكان، والتي يعود تاريخ تأسيسها إلى العام 1317م، وهي صيدلية خاصّة في البداية بالرهبان ثم غدت مفتوحة

لعامّة الناس. وقد كانت تضمّ مجموعة هامّة من المؤلّفات في علميّ الطبابة والصيدلة، إلى جانب سجلّات بآلاف الوصفات، ومجموعة كبيرة من الأدوات التي تعود إلى القرن الخامس عشر. ولا زالت هذه الصيدلية ناشطة وتوفّر مستخلَصات وفق الوصفات التقليدية القديمة.

من جانب آخر رافقت جماعات الرهبان الوافدين مع جحافل الحملات الصليبية نحو الأراضي المقدّسة في المشرق وبلاد الشام انشغالات بعلوم الصيدلة. إذ نجد العديد من رجالات «الرهبنة المسلَّحة»، ممن استقرّوا بفلسطين إبان الحروب الصليبية، يتقنون فنّ تحضير النباتات والأعشاب المستعمَلة لغرض المداواة. ومن بين الأديرة التي عُرِفت بالاشتغال بالصيدلة حينها صيدلية دير القديس سالفاتور بالقدس، بفضل ما كانت تجده من دعم من ممالك الفرنجة المساندة للحملات الصليبية، بوصف تلك القلاع نقاطا متقدّمة لاختراق صفوف «المحمّديّين» في المشرق. وقد كانت صيدلية دير «القديس سالفاتور» بمدينة القدس من أفضل الصيدليات بالمنطقة نظرا للدعم الفائق من جمهورية البندقية وجمهورية «جنوة» ودوقية «ساباودو» في ذلك العهد، لما تقدّمه من خدمة للحجيج المسيحيين القادمين من أوروبا.

تَواصَل تقليد إعداد المستخلصات في دير القديس «سالفاتور» في القدس إلى حدود العشرينيات من القرن الفائت، حيث اِستمرّ مدّ «السبيسيريةِ» (spezieria) -والمفردة تعني محلاً لبيع التوابل والعقاقير- رهبان الدير، فضلاً عن المياتم والمدارس التابعة، ما يلزم من أدوية. وقد بلغت شهرة العاملين في صيدلية الدير أن استعان بهم أعيان العرب والباشوات الأتراك إبان فترات الأوبئة التي أصابت الشام في القرون الأخيرة. وقد

كان الصيدلانيّ الراهب «أنطونيو منزاني» أحد مشاهير تلك الصيدلية، بفعل تصنيعه المرهم المعروف بـ«بلسم القدس»، وهو مضادّ للتقرّحات والنزَيف الخارجيّ والحروق، خضع استعماله لمقادير مضبوطة وأيّام معدودة. وقد جرى تطوير ذلك البلسم إلى سائل، وبات يُستَعمل في القروح التي تصيب المعدة وتقليص آلام الأسنان والسعال. وبفعل الشهرة التي أحاطت بـ«بلسم القدس» غدا مطلوباً في المدن المسيحية الأوروبية.

وتُعتَبر «سبيسيرية» سانتا ماريا نوفيللا بمدينة فلورانسا الصيدليةَ الأقدم في كافة أرجاء أوروبا. فخلال العام 1381م كان الرهبان الدومينيكان يبيعون «ماء الزهر» كدواء مطهّر مضادّ للأوبئة بما يماثل الكحول اليوم. وكانوا يتولون بأنفسهم زراعة النباتات الطبية في المنبت المجاور للدير، ثم يقومون باستخراج مستخلَصات الأعشاب والأزهار ويُعدّون منها العقاقير والمراهم والدهون وأنواع البلسم ويموّنون بها الصيدلية القريبة. ومن تلك المصنوعات الطبيعية ما يُصدَّر إلى أسواق بعيدة نحو الصين والهند. هذا وقد توسّع تقليد الصيدلة مع إنشاء أول صيدلية تابعة للرهبان الكابوتشيّين على أطراف كنيسة القديس أنطونيو، في «كالياري» في سردينيا، خلال العام 1705. ولم تكن «السبيسيرية» حكرًا على أديرة الذكور، بل أنشَأت الراهبات أيضاً داخل مقرّاتهن الخاصة محالّ مخصّصة للعناية الطبية والعلاج الطبيعي. ففي «بادوفا» على سبيل المثال، وخلال العام 1769، كانت المدينة تضمّ عشرين ديرًا للراهبات، ضمّت في جنباتها محالاً لصنع مستخلَصات العلاج. وكانت بعض الراهبات على دراية جيّدة بطرق التحضير وبأنواع النباتات والأعشاب، وهو ما يدعمه ثراء الأديرة بالمؤلفات والمخطوطات المتعلّقة بموضوعات الأمراض والمستحضرات والأدوية. وقد سجّل التاريخ العديد من أنواع المراهم والمستخلَصات والمساحيق المستعمَلة في علاج العاهات من ابتكار الراهبات.

لتتطوّر الأمور إلى تقديم دروس في علم الصيدلة داخل الأديرة، فقد كانت مجموعة من الرهبان الدومينيكان تقارب الستين، في مونبلييه، تلقي دروسًا في التداوي بالأعشاب لرهبان آخرين يفدون من أديرة أخرى. وفي فلاّمبروزا، جنب «السبيسيرية» المعروفة التي يعود تاريخها إلى العام 1689، أنشئت مدرسة نباتية ارتادها مشاهير مولَعون بالحفاظ على الطبيعة، من بينهم الراهب «فرجيليو فالوجي» (1626-1707) مؤلّف كتاب «علم النبات» ذائع الصيت.

ما تخلص إليه «آنّا ماريا فولي» عبر تطوافها بألوف التجارب، والتدقيق في ميئات الوصفات، أنه لا يمكن بلوغ الصحّة، وفق المنظور النباتي، مرة وإلى الأبد، بل من اللازم الترقّي لذلك المقام كل يوم، عبر ممارسات متتابعة تتضافر فيها الوحدة والانسجام بين العقل والجسد والروح. إذ يتسنى بلوغ الهناء من خلال مراعاة قواعد بسيطة تتمثّل في الغذاء السليم، والعيش المنضبط (المواعيد المتناسقة للنوم واليقظة)، والتناسق الأخلاقي، والالتجاء إلى القدرات الرعائية الكامنة في الطبيعة، بمعنى استعمال الأعشاب الطبية. وإلى جانب ما تورده من توصيفات لآثار النباتات الطبية وخاصياتها عند الاستعمال، تبيّن الباحثة اختلاف تأثيرها بين المرأة والرجل، وبحسب الحالات والأوضاع الملمّة بالفرد من صحّة ومرض، مبرزة أنّ كلّ تعكّر للروح أو الجسد يمكن تخطيه بنوع معين من الأعشاب، يكون فعلها مؤثّرا بفضل العناية واللطف الإلهيَّين.

الكتاب: الصيدلية الإلهيّة. تأليف: آنّا ماريا فولي. الناشر: تيرّا سانتا (ميلانو-إيطاليا) ‹باللغة الإيطالية›. سنة النشر: 2021. عدد الصفحات: 263 ص.

المتصوف المجهول الذي رفض ضم الأراضي المحتلة ..

غرشوم شوليم والصهيونية الثقافية

عزالدين عناية. أكاديمي تونسي مقيم في إيطاليا

لماذا عرْضُ هذا الكتاب الذي يدور حول شخصية الباحث والأستاذ الجامعي غرشوم شوليم؟ يُعدّ شوليم من أعلام الفكر اليهوديّ (1897-1982)، وقد خلّفَ أثراً واضحاً في مسار الدراسات اليهودية المعاصرة، بفضل أبحاثه التأصيلية في الموروث الصوفيّ العبريّ، وفي الثقافة اليهودية المعاصرة بشكل عامّ. لكنّ الإسهام الأكبر لشوليم في مشاركته في قيام الجامعة العبرية في القدس، وفي تمثيله للصهيونية الثقافية النقدية على مدى فترة حاسمة. نتابع مع الكاتب «دافيد بيالِه»، أستاذ التاريخ العبريّ في جامعة كاليفورنيا (دافيس)، إعادة كتابة سيرة الرجل، من خلال إبراز دوره الثقافي داخل إسرائيل وخارجها، وقَبل قيام الدولة العبرية وبَعده.

يوزّع «بيالِه» كتابه التأريخي على تسعة أقسام، تغطي كافة مراحل حياة غرشوم شوليم، التي يستهلّها بحديث عن طفولته البرلينيّة ويختتمها بتتبّع شغفه «القابالي» الذي نَذَر حياته له حتى مماته. فبعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على رحيل «غرشوم شوليم» لا زال يخيّم بظلاله على الثقافة العبرية، وقد تأتّى ذلك من سطوة معمَّقة في مجاليْ المسيحانية والتصوّف. بدا ذلك واضحاً من خلال مؤلَّفَيْن مرجعيَّين: الأول تعلّقَ بحركة «سابتاي زيفي» زعيم الحركة المسيحانية التي هزّت العالم اليهودي خلال القرن السابع عشر، إلى أنّ اهتدى إلى الإسلام؛ والثاني اعتنى بمذاهب التصوف اليهوديّ الكبرى. ناهيك عن أعمالٍ أخرى اِعتنت بالشأن الثقافي المعاصر،

وبقضايا سياسية على صلةٍ بالصهيونية وبالدولة العبرية، مثل كتاب «من برلين إلى أورشليم: ذكريات الشباب»، الذي أبرزَ فيه رفض جذوره الألمانية اليهودية وولاءه للصهيونية، وهو ولاء نقديّ جعل منه شخصية مثيرة للجدل ضمن السياق الثقافي اليهودي المعاصر.

ففي الوقت الذي وصلَ فيه غرشوم شوليم إلى فلسطين (1923)، كان عدد اليهود في القدس حوالي 30.000، وقد تزايد ذلك العدد بشكل متسارع في المدينة المقدسة وأحوازها، وذلك جرّاء ما عُرف حينها بالعاليا الثالثة، وكذلك نتيجة لِوَعد بلفور (1917)، الذي تدعّم بالتحكم البريطاني في فلسطين، وكذلك تزايدَت أعداد اليهود نتيجة الحرب الأهلية في روسيا بين سنوات 1918 و1921. فقد كان معظم القادمين اليهود خلال الفترة المتراوحة بين 1919 و1923 من أوروبا الشرقية، في الوقت الذي مثّل فيه القادمون من ألمانيا –ومن ضمنهم «شوليم» طبعاً– أقلية ضئيلة.

لا بدّ أن نشيرَ إلى أنّ فكرة إنشاء الجامعة العبرية وتأسيس المكتبة الوطنية، جاءت مبكرة، فقد كان ضغط اللاسامية في أوروبا على الأساتذة والطلاب اليهود دافعاً للتفكير في إنشاء مؤسسات تربوية وثقافية في فلسطين. وبالفعل تمّ تدشين الجامعة العبرية في مطلع أبريل 1925. ومع انطلاق «شوليم» في مشواره الأكاديمي في الجامعة لم يكن بارزاً، ولم ينل حظّاً في أوساط الطلاب. فقد أورد في إحدى مقالاته: لم يكن مسعاي لبعث نقاش فلسفيّ حول أصول «القابالاه» بين طلابي موفّقاً، جرّاء عجزهم الفاجع عن التفكير. ولكن ما يُلاحَظ أنّ مع مرور السنوات، غدا «شوليم» من أكثر الأساتذة تأثيراً في الجامعة. وكانت تزكيته أو موافقته على انتداب مدرّسين جدد في الجامعة العبرية لهما بالغ التأثير حتى في تخصصات بعيدة عن مجاله. ولا بدّ أن نشيرَ إلى أنّ اندماج شوليم في الوسط اليهودي في فلسطين قد تعزّز عقب زواجه من «إيخا بورخاردت» وانتدابه في الجامعة العبرية؛ لكن ذلك النجاح كان يخفي خيبة من الأوضاع الثقافية والسياسية الصهيونية على المستوى الشخصيّ.

وفي الواقع بدأت صورة «شوليم» تبرز منذ تشكيل لجنة «بيل» التي رعاها الإنجليز للبحث عن حلّ للثورة في فلسطين إبان الانتداب. نُشر الكتاب الأبيض في يوليو 1937 وقد نصّ على تقسيم فلسطين. كان موقف «شوليم» مزدوجاً، ورد في تصريح له: «مبدئياً أعارض التقسيم، لأني أعتبر الحلّ الأمثل في إنشاء مجلس عربي يهودي مشترك يمثّل كافة أهالي فلسطين» هكذا صرّح «شوليم».

وعلى ما يرصد «دافيد بيالِه» في كتابه، كان «شوليم» في قلب الحدث الثقافي اليهودي، في الداخل والخارج. وإن هجر ألمانيا بقناعة وإدراك سنة 1923، باتجاه فلسطين، فقد تواصلت علاقته باللغة الألمانية متينة، أكان عبر البحث أو الكتابة. تابع النشر في الدوريات العلمية الألمانية والكتابة في المجلات الشعبية الموجَّهة إلى الجالية اليهودية مثل «جوديش رودسخاو». فمن اللافت استمرار تواصله مع الجالية اليهودية، إبان الحقبة النازية، باللغة الألمانية، وهو ما يعني أنّه لم يُدر الظهر لمجتمع المنشأ. في واقع الأمر كانت علاقة «شوليم» باللغة بوجه عامّ إشكالية ومتقلّبة، ففي ألمانيا أبدى وَلَعاً مبكّراً بالعبرية وتملّصاً من الألمانية، وفي فلسطين حاول أن يجد توازناً بين اللغتين. كانت أبحاثه ومؤلفاته العلمية تُدوَّن بإحدى اللغتين، وبحسب الجهة التي يتوجّه إليها الخطاب. والطريف أنّ شوليم حين يكتب للألمان كان يوقّع مقاله باسمه الألماني «جرهارد شوليم»، وحين يكتب لليهود يوقّع باسمه العبري «غرشوم شوليم»، الاسم الذي شرع في استعماله مع رفاقه الصهاينة أثناء الحرب العالمية الأولى. حيث لم يهجر «شوليم» لغته الأم –الألمانية–، فقد كان مزدوج اللغة حتى في الحياة العامة، في وقت كان فيه دعاة العبرية يحرصون على نقاوة اللغة وتنقيتها من الشوائب.

وكما أسلفنا القول، كان شوليم في قلب الحدث الثقافي اليهودي، وكان له جدل واسع مع «حنّة أرندت» و«مارتن بوبر» وآخرين. فقد التقى شوليم «حنة أرندت» أول مرة في فرنسا (1938)، وهي الطالبة التي أعدّت رسالتها للدكتوراه تحت إشراف «كارل ياسبرس»، وسبقَ لها أن تلقّت درسها الفلسفي على يد الفيلسوف «مارتن

هايدغر». وجد الثنائي –شوليم وأرندت– تناغماً في المواقف السياسية الموالية للصهيونية، وإن تباعدت المشاغل الفكرية بين الطرفين، فأحدهما يشتغل على الأصول الميتافيزيقية لليهودية، والآخر على القضايا الفكرية الحديثة. تمتّنت عرى العلاقة بين الثنائي، جراء تقدير «شوليم» لاشتغال «أرندت» في منظمة صهيونية يترأّسها زوجها «هانريخ بلوشر»، تُعنى بترحيل الصِّبية اليهود نحو فلسطين عرفت بالعاليا الشبابية.

لكن تلك العلاقة تخلّلتها تباينات وخلافات في وجهات النظر. فخلال العام 1945 عبّرت «حنّة أرندت» في مقال صادر في «مينوراه جورنال» بعنوان «إعادة النظر في الصهيونية» عن انتقادها للصهيونية اليمينيّة، وهو نقد من داخل الانتماء وليس من خارجه. ردَّ حينها «شوليم» على «أرندت» بأنّه يجاري انتقاداتها الجذرية، كما أنّه بالمثل يعارض سياسات بن غوريون، سوى أنه لا يقبل بتلك الرؤية الماركسية التي تتبنّاها، فهي تستند في منظوره إلى رؤى معادية للصهيونية، معتبراً أنّ طوباوية «أرندت» نابعة من البعد عن فلسطين، ومن نقص الإلمام بواقع اليهود في الداخل. ردّت «أرندت» على «شوليم» بالقول: إنه يرى أنّ إسرائيل هي مركز العالم، وأنّ مركز إسرائيل هو أورشليم، وأنّ مركز أورشليم هو الجامعة العبرية، وأنّ مركز الجامعة العبرية هو «شوليم»، فالشيء المحزن أن يرى «شوليم» بالفعل أنّ للعالم مركزاً. في واقع الأمر لم يقف الحضور العلمي حائلاً دون تقديم «شوليم» استقالته من الجامعة العبرية، وذلك في المرحلة الأخيرة من مشواره الأكاديمي، دعماً للحرية الأكاديمية والمعرفية.

كان «شوليم» يرى نفسه معنيّاً بالحفاظ على الذاكرة اليهودية، وقد قاده ذلك الشغف إلى العمل على لَمِّمة تلك الذاكرة. انطلق على إثر هزيمة النازية في عملية ترحيل للأرشيفات والمخطوطات والمدوّنات اليهودية التي صادرها الألمان من مكتبات أوروبا. جمع الأمريكان على إثر احتلال ألمانيا كمّاً هائلاً من الوثائق في «أوفينباخ» في أحواز «فرانكفورت»، وعلى الفور تشكّلت لجنة في الجامعة العبرية في السادس من مايو 1945 تولاها «شوليم»، لمتابعة المسألة والسهر على جلب تلك الوثائق إلى القدس. تولى حينها «شوليم» مهمّة نائب الرئيس في لجنة إعادة البناء الثقافي اليهودي وشغلت «حنّة أرندت» منصب السكرتيرة.

فيما تتمثّلُ الإضافة البارزة لشوليم في الدراسات الدينية اليهودية؟ تتلخّصُ جذور الرؤية اللاهوتية لشوليم في الفكرة القابالية، حول تواري الإله، وحول باطنية التراث الدينيّ، وهو ما يلتقي في جانب منه مع الرؤية الدينية لموسى بن ميمون، الذي كان «شوليم» يدرّس أطروحاته في الجامعة العبرية ضمن درسيّ الفكر القابالي والفلسفة اليهودية. فابن ميمون والقابالیون كلاهما يرى الألوهية غير قابلة للإدراك المباشر والاستيعاب بوساطة العقل البشري، وإن قال القابالیون بمفهوم الفيض الإلهي باعتباره البعد الذي يتيح للمرء الوعي بالألوهية. ولعلّ تلك المواضيع الكلاسيكية والمنبعثة مع القابالیين، هي التي أوحت لشوليم بإمكانية عرض تصورات الألوهية في العالم الحديث. كما طرحَ شوليم فكرةَ الخلاص عبر الخطيئة، وهو موضوع أثير في لاهوت الحركة السابَتية لدى شوليم، لا سيما بعد اهتداء الزعيم سابتاي زيفي إلى الإسلام (1666م) وهجرانه اليهودية.

لعلّ الانشقاق الأكبر في اليهودية القابالية، وهو ما تمّ مع اهتداء سابتاي زيفي إلى الإسلام وتحوّل جاكوب فرانك نحو الكاثوليكية، وإن تمايز وزن الانشقاقين لكون اهتداء سابتاي زيفي مثّل زلزالا حقيقيا هزّ العالم اليهودي واختبارا عسيرا لليهودية على أبواب العصر الحديث.

ومن جانب آخر ما الذي أضافه شوليم بالفعل لدراسة التصوّف العبري من خلال كتابه ذائع الصيت «المذاهب الكبرى للتصوف اليهودي»؟ تبدو مقدّمة الكتاب تأمّلات في العشرين سنة التي قضّاها في دراسة التصوف اليهودي، والتي يظهر فيها بمثابة الباحث الأثري أمام ركام هائل من المخلّفات الأثرية، تطلّب عملا مضنيًا لإخراج ذخائر خفيّة من تحت الركام. القسم الأول من الكتاب هو عبارة عن مدخل عامّ طرح من خلاله شوليم أسئلة متنوّعة، محاولا الإجابة عنها على غرار: ما التصوف؟ وما الذي يميز التصوف العبري عن غيره؟ وما هي أطوار التصوف العبري؟ وعلى

ما يخلص إليه شوليم، لا يصوغ المتصوفة العبران نصوصًا وسيرًا خاصة، يعرضون من خلالها تجربتهم مع الألوهية، بل يضعون سيرهم جانبا ليدوّنوا نصوصا ثيوصوفية يبحثون من خلالها في الديناميات الداخلية للألوهية. تتواصل متابعة دقيقة للمدونات الباطنية اليهودية عبر أقسام الكتاب الأخرى، وفي القسم الأخير يركز شوليم على الهاسيدية خلال القرن الثامن عشر وعلى الأحبار الكاريزميّين وأتباعهم، وهو ما يشكل حسب نظره المرحلة الأخيرة من التاريخ القابالي.

في مؤلّف «سابتاي زيفي»، وهو العنوان الإنجليزي لكتاب شوليم عن هذه الشخصية الإشكالية، الصادر سنة 1973، مجهود كبير. حقّق المؤلف رواجًا منقطع النظير في الأوساط الأنغلوفونية وعبر الترجمات أيضا. فقد عدّ البعضُ الحركةَ السابَتية حركة هامشية وعديمة الأهمية ضمن مسار تطور الفكر الديني اليهودي، في حين مع شوليم مثّلت الدراما الرئيسة في تاريخ اليهود على أعتاب العصور الحديثة. بيّنَ شوليم كيف تمدّدت حركة سابتاي في أوساط يهود العالم، ولم تنحصر بتركيا العثمانية. بَيْد أنّ دراسة شوليم للسابَتية لاقت انتقادات من قبل العديد، أبرزهم باروخ كورزويل، وهو أستاذ أرثوذكسي يهودي درّس في جامعة بار إيلان في تل أبيب. اعتبر كورزويل أبحاث شوليم حول السابَتية هي مجرّد محاولة تفسير لائكية لليهودية. عرض كورزويل شوليم ليس كمؤرخ، بل كأحد المدافعين الذين شايعوا السابَتية نظرًا لخاصياتيها العدمية، مرتئيا كورزويل أنّ السابَتية هي بالنهاية رفضٌ للخطّ التقليدي وتنكّرٌ لسلطة الحاخامات. الواقع أنّ كتابة سيرة سابتاي زيفي قد دعمت شهرة شوليم، وجعلت منه أبرز الدارسين لليهودية في الحقبة المعاصرة.

وفضلا عن حضور شوليم الأكاديميّ، كان شخصية ثقافية عمومية أيضا، لها تأثير واسع حتى خارج تخصّصها العلميّ. فغالبا ما كان شوليم يُستشار في القضايا الدينية والاجتماعية للمجتمع الإسرائيلي، حتى وإن كانت رؤيته لائكية للمسائل. يورد دافيد بيالِه عديد الأمثلة عن ذلك الدور: مع العام 1970 أُثير الجدل مجدَّدا في المجتمع الإسرائيلي بشأن قضية من هو اليهودي؟ وقد سبق أن أقرّ قانونُ العودة حق الجنسية للعائدين اليهود مباشرة، ولكن هل اليهودي هو وفق التعريف الهالاخي، أي كلّ متحدّر من أمّ يهودية أم ذلك المتهوِّد المعتنق للدين اليهودي، أم الأمر وفق التعريف النازي، كل من له جدّ عبري. وأثيرت كذلك قضية الجهة التي تتولى مراقبة التحول الديني. عندما أثيرت المسألة أدلى شوليم بدلوه معتبرًا اليهودية تجمّعًا مفتوحاً حيّاً، وليست منحصرة في شكل بعينه، فاليهودية ظاهرة متحولة عبر التاريخ. رفض «شوليم» حينها التعريفات الدوغمائية لليهودي وانحاز إلى تعريف مفتوح.

وبخصوص الجدل الدائر حول حربيْ 67 و 73 كان لشوليم حضور مؤثّر في الساحة، ففي أعقاب حرب 67 التي تسنى فيها لإسرائيل تحقيق نصر قام نقاش في المجتمع الإسرائيلي دارَ حول ما الذي نفعله بالأراضي العربية المحتلة؟ وانقسم قادة الجيش والساسة إلى تيارين: أحدهما يميل إلى الضمّ والآخر يرفض ذلك الخيار، بدعوى أنّه يدمّر صورة إسرائيل الإنسانية والديمقراطية أمام العالم. كان شوليم حينها من أنصار الخيار الثاني، ووقّع عريضة إلى جانب مجموعة من الشخصيات البارزة بعنوان «أَجَل للأمن والسلام.. ولا للضمّ». وفي السابع عشر من أكتوبر 1973، في وقت كانت الحرب فيه مستعرة في الشرق الأوسط، أرسلَ شوليم رفقة مجموعة من الأساتذة في الجامعة العبرية رسالة استغاثة إلى «نيويورك تايمز» ناشدوا فيها الرأي العام الأمريكي بأنّ العرب بصدد تدمير إسرائيل.

آثرنا عرْضَ هذا الكتاب الذي يدور حول شخصية غرشوم شوليم لندرة الكتابة عنه في العربية ولانعدام الترجمة بشأنه، رغم الدور المحوري للرجل في الثقافة اليهودية المعاصرة.

الكتاب: غرشوم شوليم معلّم القابالاه .تأليف: دافيد بيالِه.الناشر: دار كاروتشي (روما) ‹باللغة الإيطالية›.سنة النشر: 2021.عدد الصفحات: 211 ص.

قصيدة «There is another sky»
للشاعرة الأمريكية إيميلي ديكينسون

ترجمة ندى القطعاني. ليبيا

صُنّفت «إيميلي» من ضمن أغرب 26 كاتب و كاتبة عبر التاريخ، حيث يتصف شعرها بالغموض وتغلب عليه سمات العزلة و الوحدة.

و نظرًا لحبها للزراعة وعيشها في بيئة تحيط بها الطبيعة من كل جانب، فقد كانت إلهامها الأول، حيث زودتها بأدوات تشبيه وإستعارة نادرًا ما يخلو شعرها منها..

الجدير بالذكر أن «ديكنسون» لم تلق رواجًا أثناء حياتها، بل لم يقدّر أحد شعرها، حيث نُشرت لها فقط 11 قصيدة وهي على قيد الحياة. وبعد وفاتها تم إكتشاف 1800 قصيدة لم تر النور بعد.

في هذه القصيدة، تناجي «ديكنسون» أخاها المغترب عن الديار في بعثة دراسية، وتحاول إقناعه بالعودة لبيته، وأسرته، ولبلدتهم التي أسهبت في وصفها وفضّلت كل شيء فيها عن المكان الذي يقطن فيه هو، ففي مطلع القصيدة وصفت سمائها بالصفاء و السكون على عكس السماء الأخرى – في مخيلتها – التي يعيش تحتها .

القصيدة مليئة بالتشبيهات المماثلة والتي حاولتُ إبرازها في ترجمتي بحيث أظهرت محاسن المكان الذي وصفته بدلاً من إجراء المقارنة و الوقوع في فخ النقل الحرفي الذي لا يستساغ في ترجمة الشعر.

النص:

هُنا السماء؛
دائمة السكون والصفاء.
هنا أشعة الشمس؛
تطغى برغم كل الظلمات.
لا عليك «أوستن»،
بالغابات الموشاة بالسواد..
لا تبالي بصمت الحقول..
فهُنا غابة،
برغم صغرها
خضراء مورقة.
هُنا الحديقة،
وضّائة مشرقة..
حيث لا مكان للصقيع،
والنحل دائم الطنين
حيث الورد لا يذبل.
أرجوك أخي ..
إلى حديقتي أقبِل.

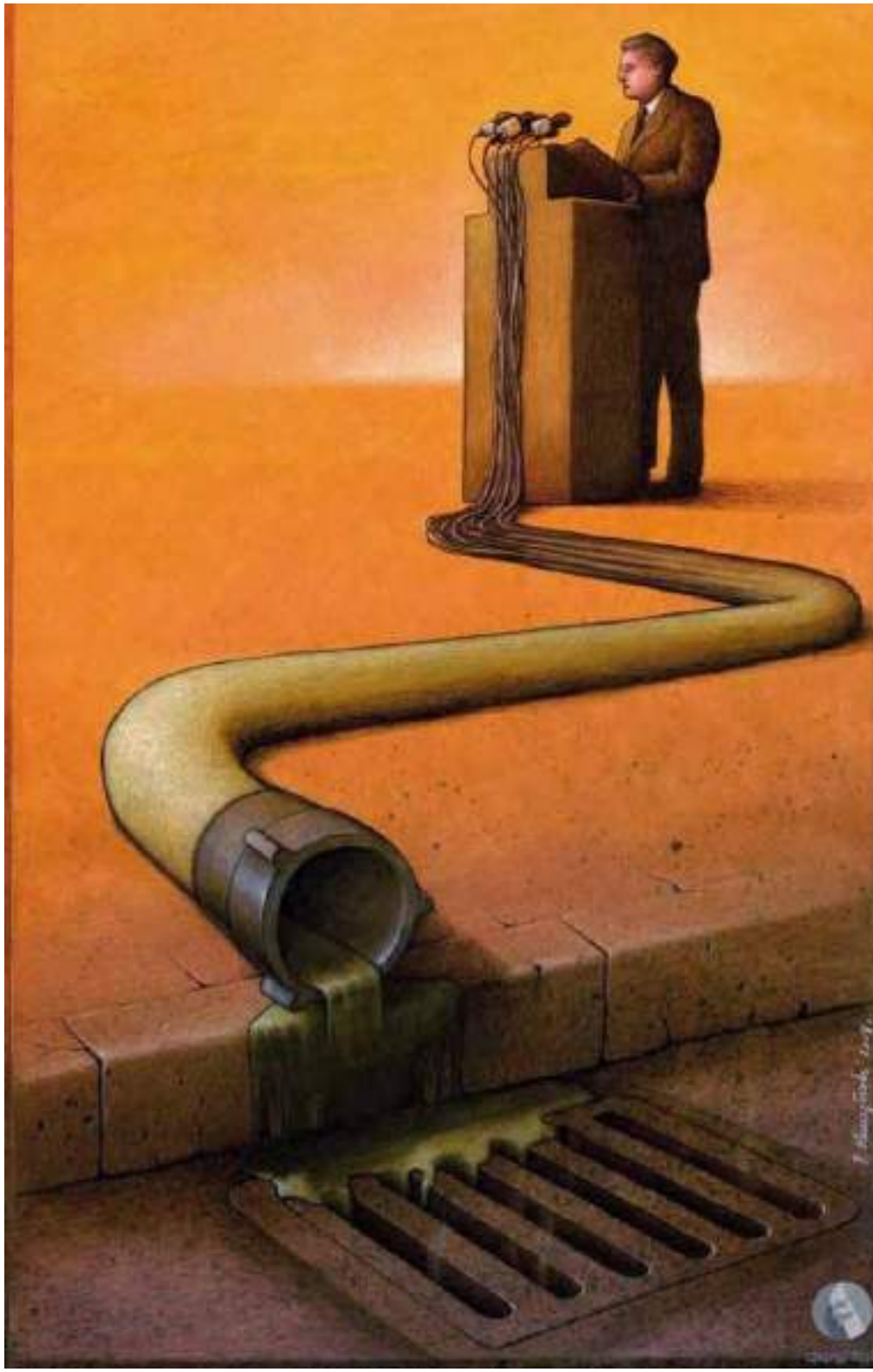

قراءة في مجموعة عائد خصباك "شرفة زينب الجزّار"

3 - 35

فراس حج محمد. فلسطين

«هذه القصص قد مهرها الكاتب بختمه الخاص، فأتقنها وبرع فيها وأجاد». بهذه الخاتمة على الغلاف الأخير، تنتهي المجموعة القصصية «شرفة زينب الجزار» للكاتب العراقي عائد خصباك، وصدرت في سلسلة كتاب مجلة ميريت الثقافية، الإصدار الخامس، (نوفمبر، 2021)، بالتعاون مع دار الأدهم، وهو التعاون الثاني بين المجلة والدار بعد الإصدار الرابع، (أكتوبر، 2021)، وتقع المجموعة في (126) صفحة، وتتكون من (35) قصة قصيرة.

قبل أن أقول ما أريد قوله عن هذا العمل الجديد، أودّ أن ألفت النظر إلى أن مجلة «ميريت الثقافية» تعيد الاهتمام بفن القصة القصيرة، هذا الفن الذي تراجع الاهتمام به في الفترة الأخيرة، بفعل عوامل تسويقية ترويجية لصالح الرواية، لكن هذا الفن ما زال موجوداً، ويُكتب بحيوية. لتكون هذه المجموعة هي الثانية التي تصدرها ميريت بعد «دفاتر عائلية» للكاتبة العراقية إشراق سامي. بل إن ميريت تهتم كذلك بالشعر، هذا الفن الذي تراجع هو أيضاً، لكنه ظل أفضل حالاً من القصة القصيرة، ومن يتتبع حركة النشر العربية يدرك ذلك. خلا الكتاب الخامس لميريت، وهو كتاب غير دوري، من تعريف بالكاتب «عائد خصباك»، كما فعلت ميريت في الإصدارات السابقة، فمن هو عائد خصباك هذا؟

ينشر موقع المصري اليوم عن الكاتب «عائد» في مقدمة حوار أجراه معه: «عائد خصباك روائي وقاص وناقد عراقي كبير ينتمي لجيل الستينيات ممن عرفوا باتجاه الواقعية، ومن أشهر أعماله رواية «سوق الهرج» وهو (اسم سوق شهير في بغداد) وصدرت عن دار الهلال ودراسة مهمة عن القصة في الستينيات بعنوان «باب السيف». هذه المعلومات من الضروري أن تكون مصاحبة للكتاب، كما فعلت «ميريت» سابقاً، فما الذي دعا المجلة ومحرريها ألا يضعوا شيئاً من سيرة الكاتب؟ هل خافوا من أن تمتد صفحات الإصدار على أكثر من «126» صفحة.؟ ربما.

لا أعتقد أن شهرته كما يفهم من الطريقة التي قدمه بها موقع المصري اليوم هو السبب. على أي حال ها هي المجموعة القصصية بين أيدي القراء ومن أراد أن يعرف عن عائد فليعد إلى المواقع. كما فعلت.

ما يلاحظه القارئ في هذه المجموعة القصصية أنها مجموعة متناسقة في إيقاع قصصها وأسلوبها وطريقة كتابتها عدا القصص الثلاثة الأخيرة، فقد كانت هذه القصص نشازاً في المجموعة من ناحية

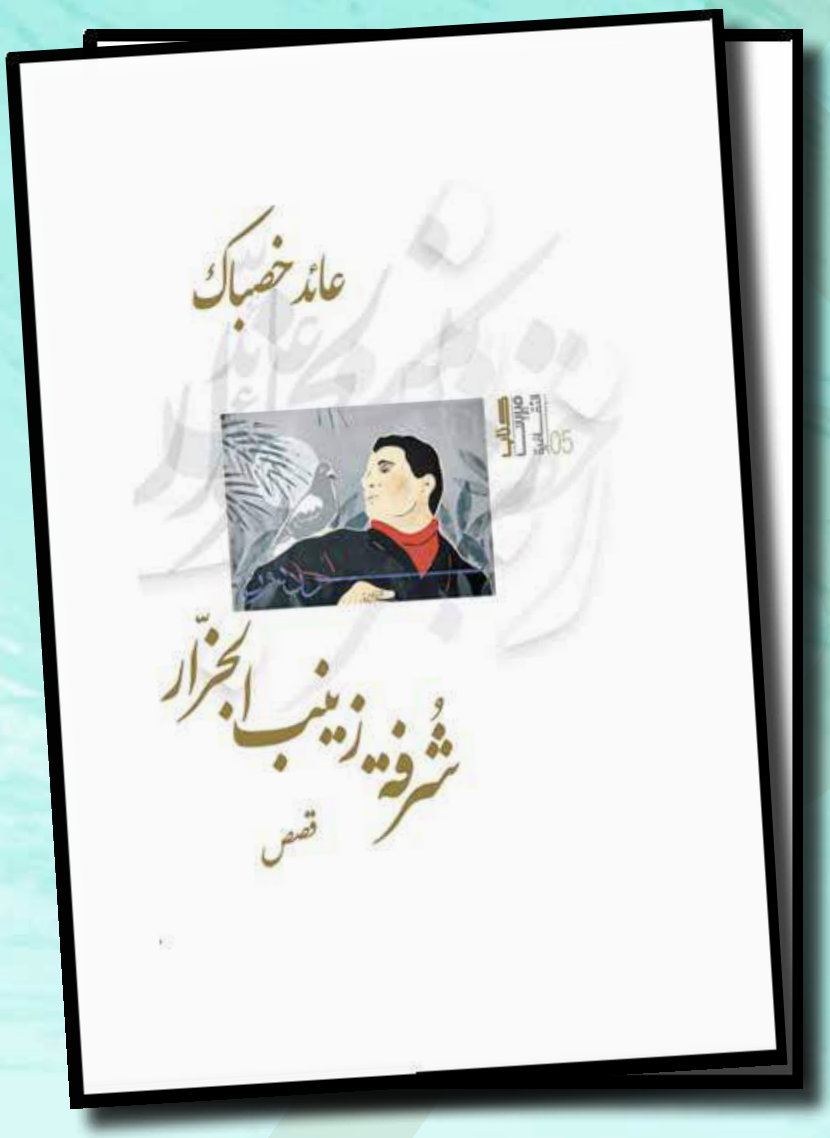

الشخوص والموضوع وطريقة الكتابة وطول السرد ووضوح الهدف. إنها قصص غير ممتعة على أيّ حال، بخلاف القصص الـ (32) الأخريات. تمنيت كقارئ ألا تكون هذه القصص ملحقة بالمجموعة وتنتهي عند الصفحة السادسة والتسعين حيث تنتهي قصة «الكشك»، فكل هذه القصص تسيطر عليها طريقة كاتبة واحدة، وفيها التقنيات السردية نفسها تقريباً، وفيها الموضوع السياسي أو الاجتماعي العراقي واضح، حتى الفكاهة والسخرية والمفارقات اللطيفة التي طبعت بعض القصص كانت تضفي على القصص مسحة من الجمال والشعرية المناسبة لفن القصة القصيرة.

لقد اتحدت تلك القصص في عناصر قصصية وسردية كثيرة، طبعت هذه المجموعة، لاسيما ندرة حضور المرأة في تلك القصص. هذا الإيقاع المتسق الذي أربكه القصص الثلاثة الأخيرة فكانت عن نساء، بأجواء غريبة عن أجواء تلك القصص الـ (32). إنه لأمر غريب

بكاء الحمام في الشعر العربي

صلاح الشهاوي.مصر

صادف أن طالعت مقالات للعديد من أساتذة الجامعات العربية يتحدثون عن عيون الأدب الأوروبي يشيدون كل الإشادة بما نظمه «شيلى» في «القُبّرة»، ومن حاكاه من نوابغ شعراء الغرب، ولم يشر أي منهم إلى روائع ما قاله الشعر العربي في «الحمام» من لدن عصر الشعر الأول (الجاهلية) حتى عصرنا الحديث بما يمثل من موازنات مبدعة وصور وأحاسيس وانفعالات عميقة من خبايا النفس البشرية، فعلى طول عصور الشعر العربي برز لنا شعراء شتي شاركوا الحمام نواحه وبكائه لتطابق حالهم مع هذا الطائر في حال الفقد فالأسى يبعث الأسى، والفقد في شتي صوره مدعاة تراحم واشج، يؤلف الأواصر بين شتي الأجناس المتباينة فكيف بالمتقاربة المتجاوبة.

فالحمام طيور متوسطة القد، صغيرة الرأس، قصيرة العنق، قوية الأرجل، سريعة الطيران. ويألف الحمام البساتين والغابات والمناطق شبه المشجرة، ويرتاد السهول والوديان والآبار وأعالي الجبال في كل بقاع العالم باستثناء المناطق القطبية، ويكثر من الطيران والوقوف علي أغصان الشجر العالي، ولا ينزل إلي

الأرض إلا من أجل الشراب والطعام.

والحمام عند العرب: هو «ذات الأطواق الفواخت» و«القماري» و«الدبسي» و«ساق حر» و«القطا» و«الوراشين» و«الورق»، وغيرها من الحمام الذي يملأ السهل والجبل في ديار العرب، ويطرب بسجعه وترجيعه عشاق الطبيعة والجمال، ويهيج الأشجان في قلوب المحزونين. ويحرك لواعج الشوق في جوانح المتيمين.

والحَمَام يقع علي الذكر والأنثى، لأن الهاء إنما دخلته علي أنه واحد من جنس، لا للتأنيث، الواحدة حمامة. وعند العامة أنها الدواجن فقط، وعند الجاحظ: هو كل طائر يعرف الزواج، ويحسن الهديل والدعاء والترجيع فهو حمام، وان خالف بعضها بعضاً في بعض الصوت واللون، وفي بعض القد ولحن الهديل، و«القمري» حمام، و«الفاختة» حمام، و«الورشان» حمام، و«الشفنين» حمام، وكذلك اليمام واليعقوب، وضروب أخري كلها حمام، ومفاخرها التي فيها ترجع إلي الحمام التي لا تعرف إلا بهذا الاسم.

والحمامة تبكي وتُغني وتنوح وتغرد وتسجع وتقرقر وتترنم، وإنما لها أصوات سجع لا تُفهم، فيجعله الحزين بكاء، ويجعله المسرور غناء.

والحمام من الطيور التي حظيت بمكانة خاصة في الشعر العربي، إذ خلده الشعراء في أشعارهم في مختلف العصور، لذلك لم نجد طائراً من الطيور كالحمام له كل هذا الرصيد الضخم من الشعر العربي فهو بريد العشاق وأنيس المحزونين وسمير المغتربين.

ويلفت النظر في تراثنا هذه الصلة الوثيقة بين الحمام والشاعر الذي حزبته الأمور، وضاقت به الأيام وأصيب بفقد قريب، أو بهجر حبيب، أو بسجن فُرِضَ عليه، أو بنفي صار إليه. فالشاعر العربي وجد من هديل الحمام بكاء حزيناً يلقي صدي في نفسه الملتاعة، وكثيراً ما سمعنا الشعراء يعاتبون الحمامة لأنها تنوح نواحاً كاذباً، فهي لا تذرف الدموع، علي حين أن نواح الشاعر يكون مصحوباً بالدمع الهتون.

ويقول الشاعر عوف بن ملحم الخزاعي في أبيات حزينة بعد أن سمع نوح حمامة:

وأرقني بالري نوح حمامةٍ..
فنحت وذو اللب الحزين ينوح
علي أنها ناحت فلم تر عبرة..
ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما..
ومن دون أفراخي مهامة فيح
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر..
وغصنك ميادٌ ففيم تنوح.
أفق ولا تنح من غير شيء فإني..
بكيت زماناً والفؤاد صحيح.

أما الشاعر الوقافُ «ورد بن الجعد»، فيجد في نفسه أصدق في بكاء المحبوبة من الحمامة، إنه يواصل الليل بالنهار في البكاء.. أما هي فتهجع. وهو يبكي حقاً وصدقاً، أما هي فإنها كاذبة فيقول:

أحقا يا حمامة بطن وادٍ..
بأنك في بكائك تصْدُقينا
غلبْتكِ في البكاء بأن لَيْلي..
أواصله وأنك تهجعينا
وأني إن بكيت بكيت حقاً..
وأنك في بكاءك تكذبينا.

وقال آخر:

أحقا يا حمامة بطن واد..
بهذا الوجد إنك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن شوقي ..
أكاتمه وشوقك تغلبينا.

وقال آخر:

وفي الوادي على الأغصان طير..
ينوح ونوحه في الجو عال
فقلت له وقد أبدى نحيباً..
دع الشكوى فحالك غير حالي

أنا دمعي يفيض وأنت باك..
بلا دمع فذاك بكاء سال
لحا الله الفراق ولا رعاه..
فكم قد شكّ قلبي بالنبال
أقاتل كلّ جبار عنيد..
ويقتلني الفراق بلا قتال.

وأما هذا الإعرابي فيدعو علي الحمام قائلاً:

ألا قاتل الله الحمامة غدوة..
علي الأيك ماذا هيجت حين غنت
تغنت غناءً أعجمياً فهيجت..
من الشوق ما كانت ضلوعي أكنّتِ.

ويقول نصيب:

لقد راعني للبين نوح حمامة ..
علي غصن بان جاوبتها حمائم
هواتف أما من بكين فعهده..
قديم وأما شجوهن فدائم.

ويقول قيس بن الملوح:

لقد هتفت في جنح ليل حمامة ..
علي فنن تدعو وإني لنائم
فقلت اعتذاراً عند ذاك..
وإني لنفسي فيما فعلت للائم
أأزعم أني عاشق ذو صبابة ..
بليلي، ولا أبكي وتبكي الحمائم.

ويقول الشاعر العربي:

لقد هتفت في جنح ليل حمامة ..
إلى ألفها شوقاً وإني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً ..
لما سبقتني بالبكاء الحمائم.

ويقول آخر:

أنام على سهو وتبكي الحمائم ..
وليس لها جرم ومني الجرائم
كذبت وبيت الله، لو كنت عاقلا ..
لما سبقتني بالبكاء الحمائم.

وهديل الحمام يثير أشجانه ويحرك عاطفته ويدعوه إلي البكاء فيبكي مع الحمام مشاركة وتجاوباً وتأثراً بما كان شائعاً في معتقدات العرب وتراثهم القديم من أن الهديل هو في

الأصل اسم لذكر الحمام، وأنه هجر عشه ووليفته، فهي لا تفتأ تذكره وتبكيه، ومن هنا فقد سمي العرب صوت الحمام بالهديل، إشارة إلي اسم الزوج الغائب النازح. يقول «قيس»:

لعمري لقد أبكيتني يا حمامة ..
العقيق وأبكيت العيون البواكيا.

ويقول:

ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما ..
عليّ الهوى لما تغنيتما ليا.

ويقول:

ويا أيها القمريتان تجاوبا..
بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا.

أما الشاعر العرجي، فيبكي لبكاء المطوقة فيقول:

والله ما قربتِ قربي ولا نزحت ..
إلا استحف غليها قلبه طربا

ولا دعت شجوها يوماً مطوّقة .. إلا ترقرق ماء العين فانسكبا.

أما الأخطل فيقول:

أهذا الود زادك كل يوم .. مباعدة لإلفك واجتنابا
لقد طرب الحمام فهاج شوقاً .. لقلب ما يزال بكم مصابا.

وفي العصر الأموي قام رجل من «بني جشم» يقال له «جَحْدر بن ربيعة»، يخيف السبيل بأرض اليَمَن، وبلغ خبره الحجاج، فأرسل إلي عامله باليمن يشدّد عليه في طلبه، فظفر به وحمله إلى الحجاج بواسط، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: كَلَبُ الزمان وجفوة السلطان وجراءةُ الجَنَان. (يقال: كَلِبَ الدهر علي أهله كَلَبا: اشتد. والجنان: القلب) فأمر بحبسه فَحُبِس، فسمع في محبسه بكاء حمامتين فقال:

لقدْ صَدَعَ الفؤادَ، وقد شجاني .. بكاءُ حمامتين تَجَاوبان
تجاوبَتَا بصوت أعجمي.. على غُصنَينِ من غَرْب وبانَ
فأسبلْتُ الدموع بلا احتشام.. ولم أكُ باللئيم ولا الجبان
قلت لصاحبي: دعا ملامي.. وكُفا اللّوم عنّي واعذراني
أليس الله يعلم أنّ قلبي.. يُحبك أيها البرقُ اليماني.

فبلغ شعره هذا الحجاج، فأحضره بين يديه، واستتابه، وخلع عليه، وفرض له العطاء، وجعله من أصحابه.

ومر «بشار بن برد» بباب الطاق فسمع صياح قمرية فقال لغلامه: انطلق، فإن وجدت هذه القمرية بجناحها فاشترها ولو بوزنها ذهباً، فوجدها بجناحها فاشتراها بثلاثة دنانير، فلمسها بيده ثم قال:

ناحت مطوقة بباب الطاق.. فجرت سوابق دمعك المهراق
طربت إلى أرض الحجاز بحرقة .. فشجت فؤاد الهائم المشتاق.

ولأن البعض يعتقد أن الحمامة تدعو في هديلها (بكائها)، «ساق حر»، وهو ذكر الحمام الذي تحن إليه باستمرار، أو هو ولد الحمامة الذي فقدته، وجدنا الشاعر «جهم بن خلف المازني» يتمثل ذلك شعراً عندما قال في حمام منطقة «تبالة» في اليمن:

وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة .. مطوقة ورفاء تصدح في الفجر
هتوفُ تبكي «ساق حر» ولن تري .. لها دمعة يوماً علي خدها تجري
تغنت بلحن فاستجابت لصوتها .. نوائح بالأصياف في فنن السّدْرِ
إذا فَترتْ كَرَّت بلحنٍ شج لها .. يهيّج للصب الحزين جوي الصَّدْرِ.

ويقول «العوّام بن كعب بن أبي سلمى» بعد أن استمع إلى حمامة تنوح:

أإن سجعت يوماً بوادٍ حمامة .. دَعَتْ «ساق حر» ماءُ عينيك دافق
كأنك لم تسمع بكاءَ حمامة .. بشجوٍ ولم يَحْزُنْكَ إلف مفارقُ
ولم تر مفجوعاً بشيء يحبه .. سواكَ ولم يعشق كعشقكَ عاشقُ
بلى فأفق عن ذكر ليلى فإنما .. أخو الصبر مَنْ كفَّ الهَوَى وهو تائقُ.

وأما الشاعر «شفيق بن بعلبك الأسدي» فقد هيجت حمامة ما حاول كتمانه من الوجد، فدعاها ليتباكيا معاً علي ذكريات سلفت، وليتبادلا أحاديث الحب والهيام ما خفي منها وما بدا، ثم يطلب منها أن تساعده علي البكاء فيبكيا معاً، وإلا فإنه سيبكي وحيداً. فيقول:

لقد هَيجت مني حمامة أيكة .. من الوجد وجداً كنت أكتمه جهدي
فقلت تعالي نبْكِ من ذكر ما خلا .. ونذكر منه ما نُسرُ وما نُبدي.

أما «أبو فراس الحمداني» وحمامته فهما

أشهر من أن يُعرّفا، فقد استمع إلي هديل حمامته وهو في الأسر فعاتبها. لأنها تنوح وهي متمتعة بالحرية، ويعجب من تصاريف القدر التي جعلته يضحك وهو الأسير المكبل بالأغلال، وتبكي الحمامة وهي تنعم بنعمة الحرية التي يفتقدها الشاعر، فهو أجدر منها بالبكاء حيث يقول:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة..
أيا جارتا لو تعلمين بحالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ..
تعالي أقاسمك الهموم تعالي
معاذ الهوى! ما ذقتِ طارقة النوي ..
ولا خطرت منكِ الهمومُ ببالِ
أيا جارتا ما أنصف الدهرُ بيننا..
تعالي أقاسمك الهموم، تعالي
تعالي تري روحاً لديّ ضعيفة ..
تردد في جسم يُعذّب بالِ
لقد كنت أولي منك بالدمع مقلة ..
ولكن دمعي في الحوادث غالي.

أما «ابن خفاجة الأندلسي» فيذكر لنا ذلك الحنين الآسر إلي أماكن الذكريات وحسرته الدائمة علي فقدان الشباب الذي هيجته حمامة فيقول:

سجعت وقد غنّي الحمام فرجّعا ..
وما كنت لولا أن تغني لأسجعا
واندب عهداً بالمشفر سالفاً ..
وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم أدرِ ما أبكي، أرسم شبيبة ..
عفا، أم مصيفاً من سليمي ومرتعا
وأوجع توديع الأحبة فرقةً ..
شباب علي رغم الأحبة وّدعا.

أما «ابن سنان الخفاجي» (الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد) تلميذ «أبي العلاء المعري»، فيقول عن حمامة:

ويشجو قلوبَ العاشقين حنينُها ..
وما فهموا ممّا تغنّت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى ..
لما لبثت طوقاً ولا خضّبت كَفّا.

وهناك أبيات شهيرة لشاعر مجهول يتجاوب مع الحمامة فيأرق لأرقها ويبكي لبكائها، إذ تهيج الحمامة الباكية لبين إلفها أشواقه وأحزانه لفراق أحبته فيشاركها نوحها وتشاركه وحدته فيقول:

وأرق العين بالحيين متلهُ ..
يقطع الليلَ تغريداً وتعديدا
تبكي حمامته ما تأتلي كمداً ..
تردد الصوت بالتغريد ترديدا
لولاه لم ألق في آثار دارهم..
لي مسعداً يؤنس الأطلال و البيدا
بكي فأبكي جفوني ملئهن دماً ..
وجدد النوح لي إذ ناح تجديدا
إلفي وإلفك بانا يا حمام فنح ..
حتى ننوح، ونستبكي الجلاميدا.

ولأن للحمامة أصوات سجع لا تُفهم، فيجعله الحزين بكاء، ويجعله المسرور غناء، رأينا «الشريف الرضي» يعتب علي حمامة مطوقة (كأنها تحمل قلادة) غرّدت من فرط السرور والطرب وهي تحنو علي صغارها، ولم تأبه بحزنه، وذلك في الأبيات الآتية يصفها بها:

أقول لها وقد رنَّت مراحا..
لبَالُكِ يا حمامة غير بالي
تُريع إلي درادق عاطلات ..
وهنَّ بُعَيْد آونةٍ حوالِ
لها صُنع يطول على طُلاها ..
قلائد لا تفصَّل باللآلي
عَوارٍ لا تزال الدهر حتى ..
تجلَّلها بربطٍ غير بال
وكل أزيغبٍ قَصُرت خطاه ..
كشيخ الحي طأطأ للغوالي
مِراحك قبل طارقة الليالي ..
وقبل مَرَدَّ عارية الليالي.

قال «محمد بن إسماعيل النحوي» :

وهاجَ عليكَ الشوقَ نوحُ حمائمٍ ..
فواقدَ أُلافٍ أجابتْ حمائما

لهنَّ عجيجٌ بالنَّشيجِ كأنَّها .. مآتمُ أملاكٍ تلاقتْ مآتما.

أما «مهيار الديلمي» فيقول بيتاً عن أنين الحمامة لا نظير له في معناه، إذ يصف شعره وحاسديه بقوله:

يطربه البيت وهو يحزنه .. ومن أَنِين الحمامة الطرب.

يشبه الشاعر من يظهر الإعجاب بقصيدته وهو يبطن الحسد، بمن يطرب حين يسمع الحمامة علي الرغم من أنها تبكي، فالشدو والنوح سيان لمن لا يعرف لغة الطير وأسراره.

ويقول شاعر:

رب ورقاء هتوف بالضحى .. ذات شجو صدحت في فنن

ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً .. فبكت شجواً فهاجت حزني

فبكائي ربما أرقها .. وبكاها ربما أرقني.

ويقول «محيي الدين بن عربي»:

ناحت مطوقة فحن حزين.. وشجاه ترجيع لها وحنين

جرت الدموع من العيون تفجعاً .. لحنينها فكأنهن عيون

طارحتها ثكلى بفقد وحيدها .. والثكل من فقد الوحيد يكون

بي لاعج من حب رملة عالج .. حيث الخيام بها وحيث العين

من كل فاتكة اللحاظ مريضة .. أجفانها لظبا اللحاظ جفون

ما زلت أجرع دمعتي من غلتي .. أخفي الهوى عن عاذلي وأصون

حتى إذا صاح الغراب ببينهم .. فضح الفراق صبابة المحزون

وصلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم .. تحت المحامل رنة وأنين

عاينت أسباب المنية عندما .. أرخوا أزمتها وشد وضين

إن الفراق مع الغرام لقاتل .. صعب الغرام مع اللقاء يهون

ما لي عذول في هواها إنها .. معشوقة حسناء حيث تكون.

ويقول أيضاً:

مَرَضِي من مريض الأجفانِ .. عَلَلاني بذكرها عللاني

هَفَتِ الوُرْقُ بالرياض ونَاحَتْ .. شَجْوُ هذا الحمام ممَّا شجاني.

«أجفان مريضة» : منكسرة، ناعسة، ذابلة، وهي صفة مستحسنة في النساء. عللاني بذكرها: أذكراها أمامي مراراً، فينمو بي الأمل بلقائها. هفا الطائر:خفق بجناحيه. الورق: جمع ورقاء: الحمامة. وقوله: «شجو هذا الحمام شجاني» أي: ما أبكى حمام الروض هو بعض ما عندي من الحزن.

ويهيج نوح القمري أشجان الشاعر «تميم بن

المعز»، وتحرك أشواقه لفراق أحبته. فيقول:

أئن ناح قُمري بغصن شامة .. وغرّد في أعلي الأراك حمامُ؟
أهاج لك التذكار شوقا كأنما .. له بين أحناء الضلوع ضرامُ
مطوقة ورقاء تندُبُ شَجْوهَا .. وتسهرُ الليلَ وهو تمام
تنوح بلا دمع وللحزن آية .. علي نوحها مشهورة وغرامُ
ألا يا حمام الأيك مالك والها .. كأنّك ممن أسكرته مُدامُ
كلانا محب صدّع البين شملّه .. وكل محب بالفراق يضامُ
سلام علي من حجبت شخصه النوى .. وإن كان لا يغني المحبّ سلامُ.

ومن الشعراء الذين خصوا الحمام بقصيدة كاملة «أبو بكر أجمد بن الحسين» المشهور بالأَرجاني، وتعد هذه القصيدة التي تتألف من 12 بيتاً من عيون الشعر، نختار منها هذه الأبيات:

ومما شجاني وقد ودَّعوا .. بكاء الحمام علي ساقها
تنوح علي بعد أُلافها .. وتُظهر مكنونَ أشواقها
لبسن حِداداً ومزّقنه .. فلم يَمْتَسِك غير أرياقها
وضاقت صدور بأنفاسها .. ففضت مَجَامعُ أطواقِها
وقد نزفت في الهوى دمعها .. فلم يبقَ ماء بآقها.

ويقول الشاعر والأديب «أحمد بن عبد ربه» صاحب كتاب العقد الفريد يصف حماماً:

ونائح في غُصون الدوح أرقني .. وما عُنيتُ بشيء ظل بَعْنيه
مُطوقٍ بعقودٍ ما تُزايِلُهُ .. حتى تُزايله إحدى تَراقيه
قد بات يبكي بشجو ما دريت به .. وبت أبكي بشجو ليس يدريه.

وقال:

وإنَّ ارتياحي من بكاءِ حمامةٍ .. كذي شجنٍ داويتهُ بشجونِ
كأنَّ حمامَ الأيكِ حين تجاوبَتْ ..

حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزينِ.

وقال أيضاً:

ولربَّ نائحةٍ علَى فَنَنٍ ..
تُشْجي الخليَّ وما به شجوُ
وتَغَرَّدتْ في غصنِ أيكتِها ..
فكأنما تغريدُها شدوُ.

أما الشاعر الفارس «محمود سامي البارودي»، فيقول:

ألا يا حمام الأيك إلْفك حاضرُ..
وغصنك مياد، ففيم تنوحُ
غدوْت سليما في نعيم وغبطة..
ولكنَ قَلبي بالغرام جريحُ
فإن كنت لي عوناً على الشوق فاستعرْ..
لعْينيك دمْعا، فالبكاء مُريحُ
وإلا فدعْني من هديلك وانصرف ..
فليس سواءً باذل وشحيحُ.

أما الشاعر اليمني «د.عبد العزيز المقالح». فيستحضر إحدى غنائيات أمير الشعراء أحمد شوقي، قائلاً:

هل تيم البانُ فُؤاد الحمامْ ..
فناح، فاستبكي جُفونَ الغمامْ
أم شفَّه ما شفَّني ، فانثنى ..
مُبلبل البال، شريدَ المنامْ
يهزُّهُ الأيْكُ إلى إلْفهِ ..
هزّ الفِراش المَدْنفَ المستهام
وتوقدُ الذكرى بأحشائهِ ..
جمْراً من الشوقَ شديد الضرامْ
كذلك العاشقُ، عند الدجى ..
يالَلهوى، مما يثيرُ الظلام!.

ويقول ابن معصوم المدني:

إلامَ تطيلُ نَوْحكَ يا حَمامُ ..
ولا وجدٌ عَراكَ ولا غَرامُ
وما صَدَعتْ لك البَرحاءُ قلباً ..
ولا أودَى بمهجتكَ الهيامُ
ومَا بكَ بعضُ ما بِي غيرَ أنِّي ..
آلامُ على البُكاءِ ولا تُلامُ
وكابدْتُ النّوى عشرينَ عَاماً ..
ويومٌ من نَوى الأحبابِ عامُ

هذا عن بكاء الشعراء لبكاء الحمام، أما عن بكاء الحمام لبكاء الشعراء فهذا ما يصوره «جميل بن معمر» في لوحة رائعة تصور أحواله البائسة، والمصائب التي حلت به بسبب إعراض وصدّ بثينة، فهو يري في إعراض «بثينة» عنه نكد العيش، وقسوة الحياة، ويري في إقبالها النعيم والهناء، فهي سبب محنته، وسلوكها في الابتعاد عنه يلهب أشواقه إليها، حتى أشفق عليه الصديق والعدو، وبكي الحمام لبكائه، لكن ذلك لم يكن ليقلل من قوة صبره واحتماله، ولم يكن ليثنيه عن أمله بلقاء المحبوبة، يقول جميل:

وأنت التي إن شئت كدرت عيشي ..
وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التي ما من صديق ولا عدى ..
يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا
وما زالت بي يا بثن حتى لو أنني ..
من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا.

وفي الختام أورد أبيات الشاعر «عبد الله بن الدمينة» الشهيرة والذي يقول فيها:

ألا يا صبا نجد متى هجْتَ من نجدْ..
لقد زادني مسراكَ وجْداً علي وَجْدِ
أأن هتفت ورقاءُ في رونق الضحى..
علي فنن غصن النبات من الرندِ
بكيت كما يبكي الوليد؟! ولم تكن ..
جليدا، وأبديتَ الذي لم تكن تبدي.

وأخيراً:

وبعد كل هذا فهناك من يدعي أن الحمامة لا تعرف الحزن كالقاضي «محي الدين بن عبد الظاهر» إذ يقول:

نسب الناس للحمامة حُزناً ..
وأراها في الحزن ليست كذلك
خضبت كفها وطوقت الجيد ..
وغنت وما الحزن كذلك.

حرب الغزالة

رامز رمضان النويصري. ليبيا

انتهيت قبل فترة، من قراءة متأنية لرواية «حرب الغزالة»*، للروائية «عائشة إبراهيم». (منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس 2019.)

قلت «قراءة متأنية»، بما تحمل من معاني بطيء القراءة، وإعادتها، والتوقف كثيراً للتأمل والمراجعة، خاصة اللحظات المهمة في الرواية، والانتقالات الدرامية وآلية السرد.

هناك الكثير مما يمكن قوله حول الرواية من الناحية الفنية، وربما اتناولها من هذا الجانب إن وجدت فسحة من الوقت، ولكني أريد التوقف هنا عند بعض الملاحظات التي أراها جديرة بالتوقف.

أولى هذه الملاحظات، اختيار الكاتبة الذكي لموضوع الرواية، «مملكة الموهيجاج»، بالاعتماد على مجموعة من الشواهد

التاريخية لهذه الجماعة التي سكنت محيط جبال أكاكوس. والرواية تستمد قواها من هذا الاختيار الذكي لهذه الحقيقة التاريخية، التي لا توجد مراجع توثق لها، أو تؤرخ لأحداثها إلا ما قدمته الشواهد الأثرية، وما استخلصه وحاول دارس التاريخ القديم استنتاجه من مجموعة المعطيات التي لامسها، وهو ما يعكس الجهد الذي بذلته الكاتبة في هضم ما قدمته الشواهد وما أعاد البحاث كتابته فكرياً، والخيال الخصب الذي أعاد رسم هذه الممالك القديمة، وإعادة رسم الشخوص وترتيب الحوارات، والحوادث والأحداث، وإخراج هذه المشاهد الدرامية.

وهنا نتوقف عند مسألة مهمة؛ وهو عدم إسهاب الروائية «عائشة إبراهيم» في تفاصيل المشاهد، واكتفائها بالخطوط العامة أو الشكل العام للمشهد!! وفي ظني مرد ذلك إلى أمرين، الأول؛ خوف الكاتبة من ضياع الرواية في التفاصيل وبالتالي كبر حجمها، والثاني؛ تحفيز خيال القارئ لإكمال الفراغات أو الخطوط، ليكون لكل قارئ صورته الخاصة عن عوالم الرواية مشهدياً.

ثانيها، رسمها لملامح هذه الجماعة، أو المملكة، وتحديدها جغرافياً، وديموغرافياً، وتسجيل الحياة الاجتماعية لساكنها. وهذا الرسم وإن كان اجتهاداً، إلا أنه ابن ما تركته الأقوام التي سكنت هذه الجبال على جدران الكهوف.

وهنا، الكاتبة تحاول، بالاعتماد على الملاحظة الأولى؛ منح الرواية بعداً جغرافياً، بالتالي يمكن للقارئ أن يحدد مكانه على الخارطة بالنسبة لمعالم وأماكن أحداث الرواية، مانحة إياها بعداً واقعياً، وأكثر قرباً من المتلقي. وهذا ينقلنا للملاحظة الثالثة.

ثالث الملاحظات، أجادت الكاتبة رسم شخوص الرواية، بما يسمح لنا، كقراء، بالتعرف إليها دون الغوص فيها أكثر، والارتباط بها. فهي لم تذهب كثيراً في التاريخ الشخصي لكل الشخوص، إنما بما يوافق خطة الرواية بحيث يبني القارئ علاقته الخاصة مع كل من شخوص الرواية، وبحيث تكون في اتجاه أبطال الرواية.

رابع هذه الملاحظات، حافظت الكاتب على إيقاع سردي شبه ثابت خلال العمل، ولم تغامر الكاتبة كثيراً في تجريب تقنيات سرد، أو رفع مستواه أكثر. فسارت الرواية على ذات الإيقاع، محافظة على مسافة شبه ثابتة من الحدث، وباستثناء بعض اللحظات التي ارتفع فيها الصدام كان الهدوء طابع الرواية.

مع إن الغزالة كرمز، يحمل أكثر من دلالة، فإن حضورها في الرواية كان مقصوداً لذاتها، كيان بالرغم من ضعفه ووداعته، يمكنه أن يكون سبباً في إثارة الكثير من الصدامات، أو التأثير في الآخرين وامتلاكهم، وتسخيرهم. الغزالة هنا ليست الكائن الذي عرفناه في الشعر وفي الأمثال والحكايات، ولا ما ذكرته الحكايات والأساطير الشعبية، إنه أقرب إلى الفتنة!! لنكتشف في نهاية الرواية، أن الحرب التي حملها عنوان الرواية هي حرب نفسية، تنازعت فيها الرغبات داخل «ميكارت»، في حالة هي أقرب لجهاد النفس، ومجاهدتها مخافة السقوط.

في المجمل الرواية متن يستحق القراءة، بما تحوي من متعة وتشويق، واشتغال تاريخي يمثل جزءاً مهماً من تاريخ ليبيا القديم، وما صاحب هذا التاريخ من ظهور واندثار لحضارات لم يبق منها غير رسومات على جدران الكهوف التي سكنوها، وما حفرته الأزاميل على الحواف الصخرية.

جنة النص

انتقاء :
سواسي الشريف

من الخسارة
أن لا يخفي إلا الفراغ
لكنه الفراغ ذلك الشيء الذي جذبني
إليه..
تلك النظرة التائهة
لطالما حاولت أن أحزر بما يفكر..
غامضٌ هو
لم أحاول فهمه
ولا سماعه عندما يفتح الباب ويدخل..
كأفكاري
قادرٌ على الأختفاء بين لحظة وأخرى
وكأنه لم يكن.
حاضرٌ بكلّه..
وغائبٌ كوجه طفلٍ في حضن.
لم أتعلم أن أسلك طرقاً وعرة
تلك الوسامة طرف في جدليتي

أغمضت عينيّ عنها
فقادتني لأنوثتي.
سأدلّك على كلمة السر
لتفتح بها عوالم القلق
ستهرب منها إليها
غافياً على كتف سنديانتها
تشتكي الأرق
وأنا ليلكَ
شامةٌ على طرف شفة
تستنفرُ جنوناً غافياً
لرمادٍ
يستهوي غربتي .

ربا وقاف / سوريا

الأصابع
التي تنقر على الطاولة

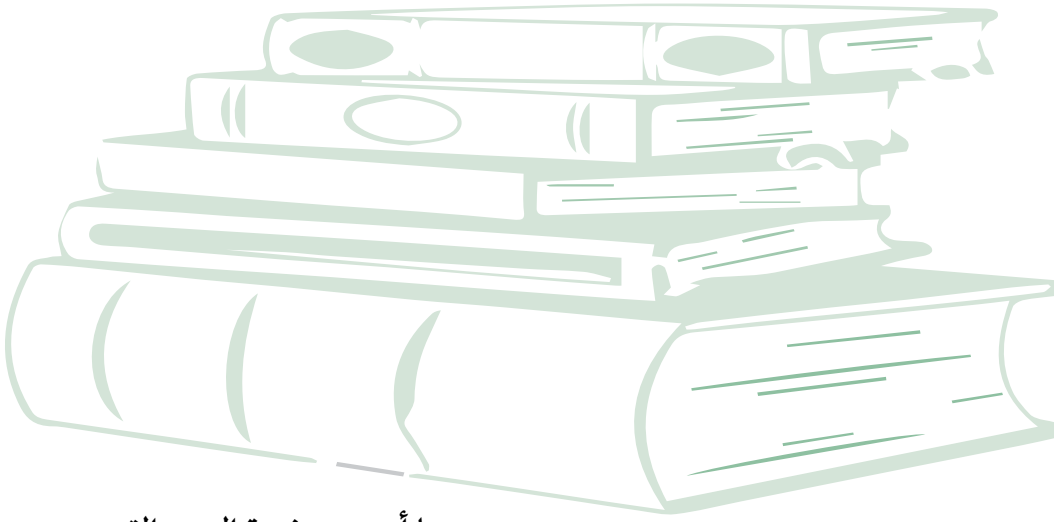

تحاول أن تخبر الكرسي
الفارغ أمامها
بعذرٍ يشبه خسارة
فنجان بارد

محمد الخفاجي/ العراق

على قارعة الدمع
تستقبل خيالي المتلاشي
تستفتح صلوات الرحيل
وفي صدرها ثلةٌ
من أنين كفيف
تفتش فصول الصبر
تشتعل في جوفها الخاوي
غصص الليل البهيم
تثمر الدمعات مثقلةً بسنابل الوجع
تحتويها انكسارات عشقٍ مكلوم
تساقطت أهداب العمر

وما أرعدت غيمة الوعد القديم
تأوهي بطول المدى
توشحي تمتمات الغسق
لملمي ضفائر الشجن
عطري هدايا العيد
واثملي شفاه المرايا
بأجمل قبلةٍ لاتزال تزهر
على جبين القمر
رتلي آهاتِ الوداع
مثنى وثُلاث وَرُبَاعَ
فرياح الفراق
لاتحسنُ الاستماع

علي المضواني / اليمن

الصراع الثقافي الليبي الإغريقي ..

ميـــدوســـا)1(

محمد الترهوني. ليبيا

«التاريخ المشوّه»:

التاريخُ الحقيقي ينبثق؛ من الأخطاء القديمة، حاول التاريخ كثيراً أن ينفصل عن الأدب؛ من أجلِّ الارتباطِ بالعلوم الاجتماعية، ونظرَ الكثيرون إلى هذا الأمر؛ على أنَه في مصلحةِ التاريخ، لكن الأدب لا يمكن تهميشهُ بسهولة إذاَ تعلق الأمر بالتاريخ. هناك الكتابة، اللغة، النص، البلاغة، الخيال، القراءة، وكل هذه الأمور تصنع زنزانة أدبية؛ كلما هرب التاريخ منها عاد إليها، ولهذا علينا أنّ لا نهمل قول «فولتير» :«الحكاية هي الأخت الكبرى للتاريخ»، لكن إذا تعلق الأمر بتاريخ ليبيا؛ فهناك ما هو أكبر من خطأ في سرد الحكاية، وهناك منت0987-ا هو أكبر من الابتعاد بالتاريخ عن حقل والاقتراب به من مجال. لم نفكر مطلقًا في الأسئلة التي يطرحها التاريخ الليبي علينا، وإذا فكرنا فهناك إجابات جاهزة_ وهي في أغلبها لمؤرخين قدامى إغريق ورومان وعرب دون تفكيكها والوقف على مدى حيادها_ إجابات يتم قولها مرارًا وتكرارًا إلى أن فقدت معناها. يمكن القول إنَ الخطأ الأكبر الذي وقع فيهِ مؤرخونا (وليس المقصود هنا التعميم فهناك دائمًا استثناء)، هو عدم التعامل مع ليبيا كحضارة، ربما لأن الحضارة ظاهرة فوق وطنية_ نعم هناك بعض الشراكة بين الحضارات في محتواها، ولكن هناك أيضاً الأشياء المحددة، الخاصة، وهناك السمات المميزة لها عن غيرها من الحضارات، والسؤال هنا_ لماذا لم يتعامل مؤرخونا مع ليبيا كحضارة لها؛ محددتها، وخصوصيتها، وسماتها المميزة ؟ ربما بسبب النظرة الدونية التي ننظر بها إلى كل ما هو ليبي، والتاريخ نفسهُ واحد من هذهِ الأمور التي ليس لدينا بها إيمان صريح. أمر آخرَ هو خوفنا من القول باختلافنا، وانفصالنا عن الحضارة المصرية، والاغريقية، هذا غير التمسك الممل بكتابة التاريخ الباهت من كثرة استعماله، أقصد فترة الاستعمار التركي، الايطالي، وفترة الملك ادريس السنوسي، والآن بدأت فترة إعادة تدوير الماضي_ مرحلة معمر القذافي، وحتى هذه الفترة بدايةً من الاتراك إلى القذافي؛ لم تدرس تاريخيًا دون تحيزات، وأمور لا علاقة لها بالتاريخ، والغريب هو التوقف عند حدود هذه الفترة، وكأن ليبيا قبل ذلكَ لم تكن موجودة، وإذا عدنا إلى الوراء أكثر فلّيس أمامنا سوى؛ ما قيِّل ورسم عنا على جدران المعابد المصرية، والحقيقة أننا يجب أن لا نعتمد على هذه الجداريات، لأن من كتبوها أو رسموها، كانوا يفعلون ذلك من أجل عرقهم، وهم حريصين على إعطاء أقل قدر من الفضل للأجناس، والأحداث التي تقع خارج نطاق تحيزهم، وكل مؤرخ وعالم آثار اليوم يعلم أن استخدام مشاهد هزيمة الليبيين المتكررة، من قبل الفنانين المصريين بنفس الطريقة التي يتم بها، رسم مشاهد الصيد البري، وصيد الأسماك، وهذا لا يعني سوى؛ أن هذه الرسوم غير تاريخية، بل هي من أجل تجسيد مفاهيم الخلود لديهم، وهذه المفاهيم تقول إن أعداء مصر لابد أن يصوروا، وهم مغمورون بقوة الفرعون الأبدية.

كلمة «مؤرخ» لدينا مثلّها مثل التاريخ، كلمة باهتة وفقيرة وتجعلنا نعيش ماضينا بشكل أقل كثافة، هذا ما يجعلنا نعيش؛ أزمة دائمة تُنمي حالة الشّك في أنفسنا_ نعم المؤرخ في بلادنا، وبسبب التقليل من شأنهِ مصاب بالإحباط، ولم يسعى ليرسخ مفهومًا جديدًا للتاريخ، لم نتجاوز إلى الآن العربدة الرومانسية لتاريخ القرن التاسع عشر، رومانسية الوله بمصر والشرق، هذا التاريخ المشوّه والكاذب، التاريخ الذي تم صياغتهُ في الغرب بروايات تاريخية، تدعي كلها أن الأساس فيها هو مصر، كتاب «مصر ولع فرنسي» هو أحد الأمثلة على حالة الهوس، يجب الاعتراف بأن الإشارات إلى مصر موجودة عمليًا في كل مكان في الكتب الكلاسيكية، ومع ذلكَ ليس من الصحيح القول

إن مصر كانت حضارة مركزية، لقد كانت مقاطعة إغريقية، وبعدها مقاطعة رومانية، ويتم استغلال مواردها للعالم الإغريقي الروماني، وأول من عانى من الهوس بمصر هو «هيرودوت» الذي وصلها عام 450 ق.م، وبسبب هذا الهوس غير العقلاني يقول عنهُ أ. ب. لويد: «نظرة هيرودوت لمصر لا تظهر أي فهم حقيقي للمصريين»، أما «بلوتارخ» فيتهم «هيرودوت» بالخبث، وأيضًا النفاق والتزوير المتعمد للحقائق وتفضيل أسوأ تفسير لأفعال الآخرين، تشمل الكلمة اليونانية kakoetheia كل هذه الشتائم، وقد بحث المترجم الانجليزي عن كلمة في اللغة الانجليزية شاملة بهذا القدر فلم يجد_ وهذه الكلمة عكس كلمة euetheia، التي تعني الصدق والصراحة والنزاهة، وفي هذه المقالة «خبث هيرودوت» يشبه بلوتارخ هيرودوت بالخنفساء الكامنة، في شجيرة الورد، والغريب أنّ بلوتارخ نفسهُ لم تكن معرفتهُ بالمصريات عميقة، صحيح أنهُ زار مصر ذات مرة، ولكن كم كانت مدة بقاءه هناك؟ ليس لدينا طريقة لمعرفة ذلكَ، هذا الكلام عن «بلوتارخ» ورد في مقال بعنوان: «شكل التقاليد عند بلوتارخ: حول «خبث هيرودوت» لـ برانيت كيركلاند.

أيضًا نحن لم نتجاوز التاريخ السياسي مع أن ما لدينا من الماضي، هو أكوام من الأنقاض_ قصص وحكايات، رسوم، ونقوش، وعدد قليل جدًا من الخطب السياسية مقارنةً بغيرها من الآثار، فلماذا كل هذا التركيز على التاريخ السياسي؟، يقول «فيلهلم دلتاي» في مقال؛ صعود الهرمنيوطيقا: «هناك ثلاث مستويات من المؤرخين يمكن تمييزها : مؤرخ يكتب التاريخ فقط، مؤرخ واقعي له مصلحة سياسية، مؤرخ عالمي لديهِ مهمة واضحة وهي إعادة بناء الحياة الداخلية بكاملها.» المؤرخ الذي يكتب التاريخ بلا فهم ليس لديهِ وعي بأن؛ إعادة فهم الماضي، وتأويلهِ يرفع مستوى الفرد إلى الموضوعية التي نفتقدها كثيرًا، لم يعد التاريخ الحديث يهتم بالسياسة، إلا من طريق الاقتصاد، وقد أصبح لدينا اليوم بدلاً من تاريخ الملوك تاريخ الموت، وبدلاً من تاريخ الاحزاب تاريخ الخيال، وبدلاً من تاريخ الحروب تاريخ للطفولة، نحن بحاجة إلى تاريخ يجعلنا قادرين على فهم أنفسنا، وكيف أصبحنا تعبيرًا عن واقع مرير بكل معنى الكلمة، بحاجة إلى تاريخ يمكنا من إصلاح فهمنا لموضوع الحياة نفسه، ولن نجد هذا التاريخ؛ إلا من خلال فهمنا، ونقدنا لكل ما كتب عنا، ومن خلال طرح السؤال الكبير: «لماذا كانت ليبيا دائمًا موضوعًا حساسًا في الدراسات التاريخية المصرية المترجمة، وموضوعًا حساسًا في الدراسات الإغريقية والرومانية (اللاتينية)، وأيضًا في الأساطير المقارنة لثقافات البحر الأبيض المتوسط؟ ويجب أن لا ننسى أن الكثير من المترجمين مثل المؤرخين سمحوا لأفكارهم المسبقة بأن تشوّه ترجماتهم.

في مقال لجورج دبليو باركر يقول: «ومن هنا فإن الآلهة ذات العيون الزرقاء والشعر الأصفر التي يزينون بها لوحاتنا، وستائر المسارح ليست سوى إبداعات لونية، من من خيال الفنانين الذين يصورون خصوصيات عرقهم»، وهذا ما يدعمهُ البروفيسور الإيطالي «جوزيبي سيرجي» بقوله: «أصبح واضحًا الآن أن أقدم حضارة في البحر الأبيض ليست من أصل آري، كان الآريين متوحشون عندما غزو أوروبا، لقد دمروا جزئيًا الحضارة المتفوقة لسكان العصر الحجري الحديث، ولم يكن بإمكانهم إنشاء الحضارة الإغريقية اللاتينية، سكان أوروبا البدائيون من أفريقيا، وكان البحر الأبيض المتوسط هو مركز الحركة عندما وصلت الهجرات الأفريقية إلى وسط، وشمال أوروبا»، والمدهش أكثر هو قول الكونت «دي جيبينو»: « تم اشتقاق كفاءة الفن بين جميع الأمم في العصور القديمة من الاندماج مع الأجناس السمراء»، كيف يمكن أن نقرأ تاريخ الحضارة الغربية في ضوء مثل هذه الاكتشافات المثيرة؟ كانت هذه مجرد أمثلة عن التخريب، وتعميم الخطأ في التاريخ، أما إذا تعلق الأمر بالترجمة؛ فإليكم هذه الصدمة، يقول «جورج دبليو باركر»: «لا يوجد في كتابات هوميروس بأكملها صفة أو وصفًا، ينطبق على أي بطل من الأبطال أنّ لديه عيون زرقاء وشعر أصفر، في الواقع الأمر على عكس ذلك تمامًا_ وهنا يورد الكاتب الكلمات الإغريقية وترجمتها_»أثينا» عيونها سوداء مثل الزيتون، «أبولو» بني محمّر، وكذلك «أرتميس»، «بوسيدون» أسود مثل أمواج المحيط المظلمة والعميقة، «أخيل» بني محمر وكذلك «أجمانون»»، كل هذه الأمور تجعلنا ندرك مدى أهمية إعادة النظر في ما كتب عنا وكيف كتب ولماذا. **(يتبع)**

في قصة "ضجيج الصَّمت" للقاص الليبي خالد السحاتي ..

جدليَّة الرَّمز

د.عـتيقـة هـــــاشمي.جامعة محمد الخامس.المغرب.

*** نصُّ الأُقْصُوصَةِ:**

«استشاط الصَّمْتُ غضباً، أمسك بتلابيب حارس الزَّمن الكسُول، أوْقَعَهُ على الأَرْض، نظر يَمنةً ويسرةً، حاول إيهَامَ نَفْسِهِ أنَّهُ بخَيْرٍ، لكنَّ هذا الهُرَاءَ لَمْ يَرُقْ لَهُ!، فَذهب نَاحيةَ السَّراب ليُفْرغ في وَجْهِهِ تلك الشُّحْنَة من الصُّرَاخ والصَّخَبِ اللذَيْنِ يَنُوءُ بحَمْلهمَا لسنواتٍ طَوِيلَة، تناهى إلى سَمْعِ السَّرَابِ ضَجِيجٌ مُرْعِبٌ، لمْ يَعْرِفْ مَصْدَرَهُ، وحين أبصر الصَّمْتَ لأوَّلِ وَهْلَةٍ أفْزَعَهُ مَا رَأَىَ!، هَدَّأَ مِنْ رَوْعِهِ قَائلاً لهُ: «إنَّكَ مِنْ ذَهَبٍ». أَجَابَ الصَّمْتُ بَهُدُوءٍ مُصْطَنَعٍ: «وهلْ يَتَجَاهَلُ النَّاسُ الذَّهَبَ، وَيُقْصُونَهُ في زَاوِيَةٍ مُهْمَلَةٍ؟»، عِنْدَهَا فَقَطْ تَبَادَلَ الصَّدِيقَانِ الأَدْوَارَ، فَصَمَتَ السَّرَابُ، وَدَخَلَ الصَّمْتُ في حَالَةٍ مِنَ الصُّرَاخِ المُتَّصِلِ حَتَّى تَحَوَّلَ إِلَى سَـرَابٍ!!.). من مَجمُوعة: «شواطئ الغُربة» لخالد السَّحـاتي، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2019م، ص25.

*** مَدْخـلٌ:**

تُعْتَبَرُ القصَّةُ القصيرةُ فنّاً نثريّاً أدبيّاً مُستحدثاً، ظهر عند العرب زمن النَّهضة نتيجة المُثاقفة مع الغرب. وقد وجد الباحثُون صُعُوبةً في إعطائه تعريفاً مُحدَّداً؛ لأنَّهُ يعْتمدُ السَّرد والوصف والحوار، ولُحْمَتُهُ اللغةُ الحاملةُ لخصائص فكريَّة وثقافيَّة واجتماعيَّة، تُحيلُ على وضعٍ اجْتماعيٍّ يُشكِّلُ جُزْءً منْهُ.

إنَّ الحديث عن فنِّ القصَّة يستدعي الحديث عن تنوُّع طرائق الاشتغال بها وعليها، وتنوُّع زوايا النَّظر عبر سرد أحداثٍ تُجسِّد تحوُّلاتٍ في العلائق البشريَّة، وهذه الأحداثُ قدْ تكُونُ واقعيَّةً أو من وحيٍّ مُخيِّلة الكاتب، الذي يستمدُّ مادَّتَهُ عادَّةً منْ تجربته الحياتيَّة، ومن مُحاولة كشف عن ما تَضِجُّ به العوالمُ منْ حركةٍ وصراعٍ، ليصُوغها وفق مقصديَّته. وتختلفُ القصَّةُ القصيرةُ عنْ غيرها من الأجناس الأدبيَّة في كونها تعتمدُ على مجمُوعةٍ من الخصائص التي عرفت تحوُّلاً في عصرنا الحاليِّ، إذْ كانت القصَّةُ التَّقليديَّةُ تعتمدُ أساساً على الأقانيم الثلاثة (البداية والوسط والنهاية)، بينما أصبحت تتأسس على تداخل الأزمنة، وتعدد مستويات الفهم، وتجاوز الخطاطة السردية وإلغاء الحكاية، وتوظيف أساليب جديدة، كأسلوب التداعي وتيار الوعي، واعتماد اللغة الشعرية، والشخصية السيكولوجية، وتوظيف الرمز، حيث نلفي الكاتب يعرض الأحداث والشخوص في قالب تجريدي يمنحها رمزية ترتفع فوق المألوف، بالإضافة إلى الصراع الذي صار عنصراً رئيسياً، إذ يعتبر الدافع لتحريك الأحداث والشخصيات. فالشخصية البطل في القصة القصيرة (الصمت) تجد ذاتها في صراع مع الشخصية المضادة (السراب/ الضجيج) والتي غالباً ما تختلف عنها سلوكاً وانفعالات، بل تسعى إلى الظهور والتنامي مع الأحداث، والتطور بتطورها. ثم إن

أكثر ما تستند إليه القصة القصيرة أيضاً ضرورة توظيف عنصري الزمان والمكان. ذلك أن الزمان بين الاسترجاع والاستباق يضمن للأحداث سيرورتها، في حين يمنحها المكان واقعيتها.

إن هذه العناصر مجتمعة هي ما يضفي على النص القصصي عنصر التشويق إذا أحكم الكاتب بزمام الحبكة في عرض أحداث القصة. ولعل «خالد السحاتي» أحد القاصين العرب الذين أغنوا الساحة العربية بإبداعاتهم القصصية، من خلال الكثير من الإصدارات منها مجموعته القصصية «شواطئ الغربة» والتي سنقف بتأنٍ عند أحد نصوصها الذي يحمل عنوان «ضجيج الصمت». هذا العنوان أثار في دواخنا عدة إشكاليات، من قبيل، أين تكمن أهمية هذا العنوان والدلالات الرمزية التي تحيل عليها هذه الثنائية الضدية (ضجيج/سراب في مقابل الصمت)؟، وهل اختيار الكاتب له كان بمحض الصدفة أم أنه مقصود؟ وما مدى تعالقه مع موضوع النص؟.

شعريَّة العُنوان:

يعتبرُ الكثيرُ من الباحثين أنَّ العُنوان نصٌّ مُوازٍ(paratexte)؛ وذلك لتأثيره البصري، ولأنه علامة مضمون النص، ويُفْتَرض فيه أن يتصف بالوضوح، حيث يستوعبه المتلقي بسرعة. ثم إنه يشكل مجموعة من العلامات اللسانية التي تظهر على رأس النص قصد تعيينه وتحديد مضمونه الشامل، لذلك فهو أهم العتبات التي تسمح للقارئ بالولوج إلى أعماق النص. وبتأمل عنوان القصة القصيرة «ضجيج الصمت» نجده عبارة عن مقولة اسمية مركبة، تستضمر كائنين لغويين يكملان جانبها اللسني والدلالي،

ذلك أنها جاءت تركيبياً عبارة عن جملة اسمية مكونة من مبتدأ (ضجيج) لخبر مستتر جوازاً يمكن تقديره، وبما أنه عنصر ابتداء في جمل اسمية، فهذا يوحي بثبات حال معين، ثم مضاف إليه (الصمت). أما من حيث دلالته، فالعنوان يشكل بؤرة دلالية، والمتمعن فيه إذا ما قارنه بالمحتوى المسرود، سيلفي الخيط الذي يحبكه، إذ يمتلك سلطة نصية تجعل منه نواة دلالية رمزية، فهو معبر إلى بناء تمثل مغاير، حيث نجد السارد قد كرّر الجزء الأول منه والمعاني الدالة عليه عبر المتن الحكائي أربع مرات (ضجيج/ الصراخ(مرتين) /الصخب) ، وكذا الجزء الثاني مَنه صريحاً (الصمت) خمس مرات، وهو ما يجعلنا نفهم بأنه يحمل بعداً تأويلياً، إذ يبرز رمزية الثنائية الضدية بين الضجيج والصمت، هذه الثنائية التي تتجسد عبر جدلية الثابت (statics) الذي هو الصمت، والذي يسعى للوصول إلى قوانين التعايش، والمتحول (dynamics)الذي هو الضجيج، الذي يهدف إلى تفعيل هذه القوانين أي قوانين التغير التاريخي، وهو ما ذهب إليه «أدونيس» حين انتصر لفكرة تحويل هذه القوانين إلى مثال ناجز، ذلك أن (الصمت) الذي قد يعبر عن الغموض، والكبرياء، والوقار، والرضا، والتأمل، والحلم، وربما العجز، والانكسار، والخوف، والموت، كما قد يحيل على مفاهيم ودلالات رمزية تكشف عما هو مغيبٌ ومُصَادر، هذا الصمت الذي هو نفي للوجود، وفرض للسلطة الواحدة، حين يقرر أن يخرج عن صمته، ويرفع صوته ليعبر في جرأة عن ذاته معلناً الميلاد، فيتحول إلى سُخط على واقع، بل وعلى تاريخ بعد أن كان سجينه. يظهر ذلك جلياً في الحوار الدائرة بينه وبين السراب، فكأنه يستدعي الحلم الغائر في الذاكرة الجمعية للإنسان من خلال سؤال عريض "وهل يتجاهل الناسُ الذهب، ويُقْصونه في زاوية مهملة؟". فالقاص بطرحه لهذا التساؤل يستحضر عبر التحول الرمزي للصمت الانكسارات التي يعيشها الانسان الليبي خاصة والعربي عامة.

إن «خالد السحاتي» يثير من وراء الدلالات الرمزية للعنوان (ضجيج الصمت) جملة من الأحداث في إشارات نقدية لاذعة حيث الاشتغال بالهوامش بعيدا عن مساءلة الواقع.

❖ تتبع الأحداث:

تسعى النصوص السردية الحديثة جاهدة إلى الاشتغال على العلاقات الفنية الداخلية للنص ذاته، لأن الكتابة التجريبية باتت تَفْرض على الكاتب ذلك. وبالتالي نجد أن النص السردي انتقل من النمطية إلى الجدال، وهو ما جعله يتسم بالتعقيد، وتعدد الأبعاد الدلالية التي تحيل على عملية الهدم والبناء، عبر ما تستدعيه نظريات النقد الحديث من انزياحات، تدفع القارئ عُنْوة إلى البحث في فك رموزها، وكأن النصوص السردية الحديثة تتوغل في فلسفة المعنى لتصل إلى فلسفة الفن. وهذا يتطلب فهماً جديداً بآليات أكثر جدة.

ولعل ما تنطوي عليه الأحداث في أقصوصة (ضجيج الصمت) من أهمية كبيرة، إنما مرده إلى استجابتها لهذا التشكيل السردي الحديث المرهون بطروحات النقد الجديد. وإن كان ذلك لا يمنعنا من التأكيد على أن الأحداث اكتست أهميتها أيضاً من قدرتها على إضاءة جميع عناصر الأقصوصة، بدءاً من الشخصيات والعلاقات التي تربط بينها ثم فضاءات الزمان والمكان والحبكة، وصولاً إلى الرهان. وهو ما يدعونا إلى تتبعها لمعرفة مدى مساهمتها في تنامي السرد، وتطوره ومدى تأثيره في المتلقي.

تبدأ الأقصوصة من ثورة الصمت، وغضبه

الشديد الذي دفعه إلى التمرد على الزمن، ومواصلة الصراخ، معتقداً أن ذلك سيخفف من وطأة الاختناق الذي يسكنه منذ زمن طويل، وقد ناء به صدره. هذه الحالة التي بات عليها الصمت من ضجيج، أثارت حفيظة السراب، وجعلته يتساءل في استغراب، بل في رعب من هول ما رأى من تحول الصمت من هدوء إلى ضجيج، عن سبب الغضب المفاجئ لصديقه، وهو الذي يُنْعت بكونه من ذهب. تدخل ليهدئ من روعه، ويطلع على ما ألم به، فكان جواب الصمت صادماً، وهل يتجاهل الناس الذهب ويقصونه في زاوية مهملة؟ عندها سيلتحم الصديقان في عملية تحول جديدة، تجعل السراب يصمت بينما يواصل الصمت صراخه ليتحول إلى سراب.

❖ الحبكة وقوة التأثير:

لا شك أن الحبكة في الأقصوصة هاته، تحيل على ثنائيتين ضديتين بين رمزي (الصمت) و(الضجيج) من جهة، وبين رمزي (الصمت) و(السراب) من جهة ثانية، هذه الثنائيات تشكل الشخصية الرئيسية في الأقصوصة، حيث تشغل حيزاً جغرافياً كبيراً، وبالتالي فحبكتها بارزة، ومن خلالها تتمظهر دلالات الحدث وأبعاده في رمزية تستدعي التأويل. هذه الحبكة يحكمها عنصر أساسي هو الصراع بين هذه القوى المجردة. فالصمت الذي يشعر بالغُبْن والظلم والإقصاء، ويرى أن الحياة في ظل حالته تلك فارغة، وأنه عليه أن يستأصل هذا التجاهل للذات بالتمرد عبر قوة الضجيج، والتحول إلى سراب في محاولة لإثبات الوجود، واستعادة الإحساس بكينونته، وقيمته المضمُونيَّة التي هجرته في ظل زمن يعرف سيرورة بطيئة وكسولة.

إن هذا الكم الرمزي الهائل الذي استعان به الكاتب في أقصوصته «ضجيج الصمت»، إنما هو صرخة نابعة من رحم التشظي، والإحساس العميق بالغربة – شواطئ الغربة –والانفصال عن الذات، وفقدان الهوية، وقد امتزج بإبداع سردي خلاق، يعبر عن تمثلات الكاتب عبر لغة تعبيرية انفعالية، تثير دهشة القارئ حين يجعل نهاية بطلي الأقصوصة يتبادلان الأدوار. هذا التبادل الذي يطفح بالدلالات والرمزية، ويجسد عالما من الوهم، تسوده الضبابية.

❖ القوى الفاعلة:

تمثل القوى الفاعل داخل النص القصصي خصيصة اساسية، ذلك أنها هي من يقوم بالحدث عن طريق الحركة والصراع والحوار، حيث يتم الكشف عن رؤيتها، وانفعالاتها، وهو ذاته ما يسمح لها بأن تُسْمِع صوتها للقارئ، فيستكشف دواخلها. إن المتلقي للمنجز القصصي يصادف في تفاعله مع شخصيات النص، إنها تحمل في كثير من الاحيان افكار كاتبها، وأنها تتحدث بدلاً عنه بطريقة غير مباشرة، كما هو الشأن في نص «ضجيج الصمت»، هذه الأقصوصة التي احتفت بشخصيات ذات طبيعة تجريدية (الصمت/الضجيج/ السراب)، وقد تعمد الكاتب أَنْسَنَتَها، حيث اضفى عليها سمات (الكلام/الهدوء / الغضب/الصراخ/ التحول..) بغية منحها ابعاداً متعددة. وقد استحضر السارد هذه الأبعاد بصورة مكثفة مراعاة للبناء الفني للقصة القصيرة.

❖ البعد الاجتماعي:

يتمظهر البعد الاجتماعي من خلال علاقة الشخصية بمحيطها، وأثر ذلك في سلوكها. ففي أقصوصة «ضجيج الصمت» نجد الشخصية البطل (الصمت) تعيش معاناة سببها تراجع القيم الإنسانية، وتتمثل تداعيات هذا التراجع في كون الصمت فَقَدَ قيمته، ومكانته التي تليق به، وأن واقع الإقصاء والتهميش الذي يعيشه ثابت ودائم،

وبالتالي أصبح وجوده عدمي، ولأنه يرفض الانسلاخ عن هويته، وكذا الانسحاب إلى الخلف، آثر أن يواجه صمته الذي هو سبب حالته، ويثور على نفسه في محاولة لاستعادة المفقود الذي لن يتحقق، إذ سيتحول إلى سراب. مما يعني أن الواقع الذي يستحضره الكاتب رمزياً عبر تيمة الصمت و تيمة السراب ما يزال مستمراً، هذا الواقع الذي تسوده الغربة والضياع، خاصة إذا ما ربطنا أحداث الأقصوصة بزمن كتابتها 2019، أي بعد ثورة الربيع العربي بسنوات، هذه الثورة التي يُفترض أن تُأسس لآمال وأحلام الإنسان الليبي في تغيير الواقع، غير أنها أبانت بجلاء ذاك الصدع الذي يشرخ كيان الإنسان الليبي خاصة والعربي عامة فيشطره.

إن الملفت للنظر في أقصوصة «ضجيج الصمت» هو كونها تكشف بالملموس طبيعة الفعل الذي تمارسه الشخوص داخل المنجز القصصي، خاصة إذا استوعبنا حجم الأسئلة التي يطرحها علينا بصدد الظرفية التي يحاول الكاتب رصدها رمزياً.

❖ البعد النفسي:

مما لا شك فيه، أن العلاقة بين ما هو نفسي وأدبي لا يقل أهمية عن العلاقة بين ما هو اجتماعي وأدبي، ذلك أن الأدب يظل مصدر المعرفة، معرفة الدواخل واستبطانها. وبالعودة إلى أقصوصة «ضجيج الصمت» سنجدها تكتنز بكم كبير من المشاعر المتوترة، تحيل على وجود أزمة حقيقية، حيث يكشف القارئ عن نفسية «الصمت»، هذه النفسية المدمرة، والتي ساهم في تدمرها عوامل خارجية. يتضح ذلك من الحوار الذي دار بينه وبين «السراب»، حيث عَبَّر عن مكنوناته النفسية، وما يختلج دواخله (غضباً وصراخاً ثم تحولاً إلى سراب.)

❖ البنية الأسلوبية ومستويات اللغة:

تستضمر لغة القاص «خالد السحاتي» في أقصوصته «ضجيج الصمت» رؤيته الفلسفية، ونظرته إلى الإنسان والواقع، انطلاقاً من تجربته الإبداعية والحياتية. وإذا ما قمنا بعملية استقراء لغة الشخوص داخل النص، سنجد أنفسنا أمام لغة التمرد والغضب، ويتحدثها الصمت، وهي لغة تعكس مدى الألم ذي يعانيه، ثم لغة الاستكانة والرضا، وهي لغة السراب الذي قبل بالتحول إلى صمت بكل هدوء.

يبدو أن القاص «خالد السحاتي» قد استثمر لغة وأساليب السرد الحديث، خاصة أنه قد منح للشخصيات الحرية في أن تعبر عن دواخلها من جهة، ومن جهة ثانية فسح المجال أمامه باعتباره سارداً، وأمام الشخصيات في أن يتبادلا الأدوار، ليصبح السارد ضمنياً أحد هذه الشخوص، ولعله الصمت الذي يسعى عبر فعل الكتاب إلى الإبقاء على هيبته، رغم التحول إلى سراب.

❖ خاتمة:

خُلاصة القول، تعكس أقصوصة «ضجيج الصمت» بالملموس أزمة داخلية تلقي بسماتها على الشخصية/ البطل، ليتحول إلى شخصية إشكالية، تطمحُ إلى التغيير، والتعبير عن الواقع، واستبطانه. والحقيقة أن الأقصوصة تشخصن منحى دراماياً في كتابة القاص «خالد السحاتي»، هذا الأخير الذي حاول منْ خلالها ومن خلال المجموعة القصصية ككل (شواطئ الغربة) أن يستجلي ذاك السواد، حيث تتلاشى القيم، وتسود الفوضى مانعة كل شكل من أشكال الإصغاء إلى مشاكل ومعاناة الإنسان، وهو ما يجعلنا نصنفها ضمن الواقعية النقدية الرمزية، حيث يرتبط مضمون النص بأزمة الشخصية البطل، ولأن الكاتب رسم خطاً واضح المعالم غيب فيه عنصر الوصف الذي لا يحضر إلا في علاقته بالشخصية البطل، وكذا عنصر الزمن الحقيقي، وأبقى على الزمن النفسي، الذي يحيل على الشعور بالضيق والتمرد والإقصاء إلى درجة التحول إلى وهـم.

ضـوءٌ خافـت

عبد العزيز الزني. ليبيا

كان ينبعث من سقف الشرفة، ومن حولها كانت الظلمة تتكاثف وبشدة، أدنت معصمها من ناظريها، تطلعت الى ساعتها، إنها ما بعد منتصف الليل، مضى وقت ليس بالقليل على وقفتها تلك، ظلت لفترة ترقب عقارب الساعة تأكد لها ما كانت تردده دائماً ، بينها وبين نفسها .. من أنها كي تستقيم عملية حساب سنوات العمر (لابد لعقارب الساعة، من ان تقف هي الأخرى، عند اللحظة ذاتها التي نقفُ عندها)، أما والأمر هكذا، فانه لا يخلو من المغالطة.

انتبهت لوجودها بجانبه، التفتت إليه، كان يقف في الطرف الآخر من الشرفة .. يحدق ساهماً عبر الظلمة في صمت. بدا لها وكأنه لا شيء به ينبئ عن إحساسه بوجودها جانبه .

ماالذي يدور برأسه الآن؟ فيم يشغل تفكيره؟ لماذا هو هكذا ؟ إنها لاتريد أن تفقده . يقيناً لديها أن أيام عمرها بدونه لاتستقيم. هو بالنسبة لها، أكبر من أي شيء أخر يمكن أن تتخيل فقدانه. تدرك أنه ليس لها أن تمضي في كتمانها دونما نهاية، وتدرك أيضاً أنها ستخبره يوماً ما بكل شيء، ولكن مالا تدركه، كيف سيستقبل اعترافها بما أقدمت عليه ؟ هذا الذي يتراءى لها أحياناً جرماً، له ألا يغفر لها ارتكابه والإقدام عليه .

وأحياناً أخرى، يبدو لها أنه أقل من أن يلتفت إليه أو يهتم به، ويعاتبها لارتكابه. ما يمنعها من أن تخبره الآن؟ وتوقف ألماً ما فتئ يعتمل داخلها . من قبل لم يحدث أن صرخ في وجهها، ومنه أبداً لم تسمع كلمة قست عليها.

لكنها كانت تخاف هذا الذي تتوقعه حتى الموت، أن يلتفت إليها، وينظر طويلاً في عينيها، قبل أن يغادر البيت ويغلق الباب خلفه نهائياً، بعد أن يخبرها بأنها هي من فعلت هذا، وأنها لم تف بوعدها .

ظلت تحدق إليه، وعبر الظلمة ظل هو يحدق، ساهماً بنظراته في صمت. وخافتاً كان الضوء ينبعث من سقف الشرفة. لربما إذا ما أخبرته الآن، فعل وكما هي عادته دائماً عندما كان يريد محادثتها، كان يضم رأسها الصغير بعد أن تتخلل أصابعه ثنايا شعرها الفاحم بين كفيه، ويبتسم لها، ثم يدنو منها وهو ينظر في عينيها حتى تحس لقاء أنفاسه أنفاسها، وتستشعر دفء نظراته وودهما، وتأتيها كلماته هادئة، غير متوترة ولا قلقة، لتؤكد لها وللمرة الألف مالم تمل سماعه أبداً (أنه ليس أسهل من قسمة الأشياء على اثنين فلا يزاحمهما ثالث. و لا يشغل تفكير أي منها سوى الآخر) .. حينها كانت وكما في كل مرة، وقد استشعرت عذب كلماته، ترسل إليه نظرات تهمس ألفة واطمئناناً .. وتعاهده مثلما كان يعاهدها .. أن تكون هي طفلته. ويكون هو طفلها والي الأبد .. لكنها لم تصمد .. لم تقو على أن تقف عند كلماتها ... تمنت لو أنها أخذت برأيه ورمت بالأمر كله وكما قال لها. خلف ظهرها، ليتها لم تذهب إلي طبيب، أو لو أنه أسمعها رأياً آخر غير الذي سمعته ،أو ليته صمت يومها ولم يتكلم. لكنها ذهبت الي الطبيب .. وتكلم يومها الطبيب وسمعت كلماته بوضوح شديد .. إنها ليست كغيرها. ولا تستطيع أكثر من هذا. وليس لها أن تكون غير هذا.. عادت تتنفس بعمق .. وعادت باهتمام شديد ودنما حذر تتساءل: لماذا عليها أن تخبره ؟ ليس هناك ما يجبرها على هذا ، من أين له أيعرف؟ أحست لزوجه في حلقها .. تفشل في التخلص منها .. حينها كان هو قد التفت إليها .. رأى أنها كانت تنظر إليه، توقفت لحظتها عن كل شيء .. امتدت يده إليها .. مسح على وجنتها .. يقينا لديه أن أيام عمره بدونها لاتستقيم، عاد ودونما حذر يصغي الي داخله ثانية، لماذا عليه أن يخبرها ؟ من أين لها أن تعرف ؟ أحس لزوجة في حلقه .. يفشل في التخلص منها، هو لا يتوف عن النظر إليها، وهي في مكانها لا تتحرك، دنا منها رآها تبتسم له، أمسك بمعصمها .. جذبها نحوه برفق .. غادرا الشرفة.. أغلقا الباب خلفهما. ومضى الضوء ينبعث خافتاً من سقف الشرفة ومن حولها، كانت لاتزال الظلمة تتكاثف وبشدة .

حينما يولد الراوي من رحم الألم والمعاناة..

شارع الشجر

حيث «أقلّ من دقيقة».. ساقتني قدماي للأستاذ «علي جابر»، خير من بات يستثمر العقل البشري في زماننا عبر «مجموعة الجابر للتجارة والاستثمار»، سألته عن كتاب المبدع «الصديق بودوارة» «أقل من دقيقة» الذي عاهدني بنسخةٍ منه وأخلف! .. فليس ثمة كاتب غيره يأسرني، لأجده ينصحني باقتناء رواية جديدة صدرت عن «دار الجابر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان» لكاتبٍ جديدٍ مبدعٍ من بنغازي يدعى «علاء الدين كويدير» باسم «شارع الشجر».

إبراهيم هدية. ليبيا

وعلى حين غرّة، طفقت أسبر أغوار الرواية التي تقع في (124) صفحة من القطع المتوسط لطبعة فاخرة للكتاب الذي زُيّن بلوحة رائعة للغلاف بريشة الفنان التشكيلي «أبيليو أنطونيو جيريماس»، والذي لم أعثر في «قوقل» على ما يدل عليه!، كما أنني لم أعثر بين ثنايا الكتاب عن السيرة الذاتية للكاتب نفسه.

استطاع «كويدير» ذو القلم السلس أن يجرني منذ الوهلة الأولى لشارع الشجر، ذاك الشارع العتيق الذي يقع في المدخل الغربي لمدينة بنغازي، لأعيش مع هذه الرواية العالمية التي قال في استهلاله لها إنها: «موجهة للإنسان الليبي فقط»!

لست بناقد أدبي .. وقلّ ما يأسرني عمل أدبي لأتمّ ما بين الغلافين في زمن وجيز حتى لا تضيع عن مخيلتي الأحداث أو تذهب عن ذهني الحبكة التي بني بها الهرم السردي للنص.

في ساعة أو يزيد .. قرأت الرواية التي جالت بأفكاري لأحداث عاشها معظم سكان مدينة بنغازي في زمنها الأسود، وأنصح بقراءتها لمن فاته جزء من تلك الأحداث، كون الرواية حبكت في إطار المذهب

الواقعي المبني على الموضوعية وتصوير الحياة الواقعية تصويراً فوتوغرافياً بعيداً كلّ البعد عن عناصر الخيال والتشويق والمجاز، حيث منع «كويدير» نفسه من تسرب أيّة عاطفة لقلمه، وإنما سلّط اهتمامه على حياة سكان «شارع الشجر» بمنطقة القوارشة بنظرة موضوعية بعيدة عن الانطباعات الذاتية في رأيي.

في علمي أن النقد الأدبي لا يقتصر على البحث عن عيوب النص فقط، وأن هنالك أُسس ومعايير يرجع إليها الناقد أثناء تحليله للنص الأدبي أساسها الملاحظة والتحليل والتفسير والتقييم، وحيث أن عملية النقد أحياناً تُعبر عن وجهة نظر القارئ لما يحدث في النص، فإنه قد يرتاح قارئ ما لنصٍ ما وقد لا تعجبه بعض الأشياء في النص نفسه، وما يَعد جيداً وجميلاً لقارئ معين قد يكون غير لائق وغير جميل لقارئ آخر، وقد لا يلقى نص ما رواجاً وقبولاً بين مجتمع القُراء في زمن ما، وربما يقفز قفزة نوعية في زمن آخر، ولعل هذا العمل الأدبي في حال تحصل على الدعم والدعاية اللازمة سيقفز هذه القفزة المنشودة، وهذا دور الدولة التي بات فيها «علي جابر» بإمكانياته المحدودة جداً وزارة للثقافة غير أنها أهلية !

تعد رواية «شارع الشجر» – من وجهة نظري – ضمن نمط «جماليات تفكك البنية

السردية للنص»، لاسيما أنّ أوّل ما يلفت نظر قارئ هذه الرواية هو هذا التفكك في بنيتها السرديّة؛ فلا الزمان ولا الأحداث تجري وفق نسق ترابطي تعاقبي سردياً، بل تكتسب الوحدات السردية قيمتها بتجاورها لا بتتابعها، من خلال أحداث متعاقبة لكل شخوص الرواية المتعددين.

تمثل رواية «شارع الشجر» مقترحاً تجريبياً روائياً يرصد «التطرف الإسلامي» لا في مآلاته بل في أسبابه، وهي لا تقف عند الأسباب الظاهرة بل تتجاوزها لتكشف عن «انسحاق البنية الداخلية للإنسان الليبيّ». هذا الإنسان الذي مثلته في الرواية شخصية تناقضات الأسرة الليبية والتراكمات التي أدت إلى انهيار بعضها وتشتت بعضها الآخر، بل وصلت حد الانقسام في أركان البيت الواحد.

يحتاج «كويدير» إلى تقوية قاموسه اللغوي من خلال تنمية المفردات والمرادفات وتوظيفها التوظيف الأمثل في الكتابة، فقد وقع في عديد الأخطاء في المعنى المراد توظيفه من بعض الكلمات داخل أركان الرواية، كما أرى أنه كان يحتاج إلى من يقدم روايته بالشكل الذي يليق بهذا الكاتب اليافع الذي يبشر بمستقبل زاهر باهر فيما لو استمر على ذات النهج ونمى قدراته من المعرفة من خلال القراءة دون غيرها.

اعتمد «كويدير» في روايته على خصائص وتقنيات في سرده الروائي على دلالات مكانية وزمانية؛ لأنّ ربط السرد بالزمن يجعله أكثر تشويقاً ويرتّب جميع الأحداث التي تتضمنها القصة. كما أن الأحداث في سرده الروائي وقعت بشكل متدرج متسلسل ومرتبة ترتيباً منطقيًاً، وذلك من خلال مراحل ثلاث أساسية هي: الأحداث المبدئية، الأحداث الطارئة، الأحداث الختامية.

لكن كاتبنا الفتي وقع في فخ تقنية الراوي بضمير المتكلم الذي يبدو كأنه الكاتب نفسه لشخوص عديدة في الرواية، مما يجعل ذهنك مشتتاً بين هذا وذاك، وتكاد تضيع معه الحبكة التي أرادها الكاتب الذي تمنيت لو أنه استخدم تقنية الراوي المجهول (العليم) الذي يعرف كل شيء ويتحدث بضمير الغائب.

يحتوي السرد على كثير من الروابط المحددة والتي تعمل على ربط الأحداث المتغيرة والمتحولة بعضها ببعض وفقَ الطريقة التي يراها الكاتب مناسبة، ويجب أن تدرجَ الأفعال بشكل يتناسب مع الزمن والتوقيت المناسبين، فمن عرف إبان سيطرة تنظيم متطرف على «شارع الشجر» يعرف بطبيعة الحال أن ذاك الشارع أو المنطقة برمتها لا توجد بها مراكز للشرطة يمكن لـ «مالك» أن يخبر أمه «سميرة» عن نتائج تحقيقاتها في مقتل الشيخ «حسن» و «سعد» الساكت!

كما أن «محفوظ» عاش مغيّباً عن قصة أبيه وتاريخها، وصلف أمه وأخيه معها، لمدة تزيد عن الـ 17 عاما حتى قتل على يد رفيقه المتحوّل «أحمد» تجعلك في ريبة حول كيف لابن لا يعرف أن أبيه عاش كل هذه المدة في مصحة للأمراض العقلية دون أن يعرف، خاصة وأن السؤال الأزلي للأبناء يكمن في قول «أين أبي ؟!».

قراءتي سريعة وليست متأنية، ولولا حالة الإعجاب التي انتابتني تجاه الكاتب دون معرفته، لما جررت قلمي لأكتب عن مكامن الخلل في جوانب عدة من هذه الرواية التي كان يجب أن تتعمق في «السسيوسايكولجي»، لا «السيكولجي» الليبي فحسب، لكن عليه أن يعذرني (ويحوّل من قدامي ما عنديش فرينو).

من هنا وهناك

● **السؤال** : من القائل :

وما من شِيمتي شَتْمُ ابنِ عمي ... وما أنا مُخلِفٌ مَن يَرْتجِيني

علي شرف الدين نور الدين
مركز زالنجي – السودان

أحمد صالح اليماني
الصومال

★

حاتم الطائي

● **الجواب** : هذا البيتُ منسوبٌ إلى حاتمٍ الطائي ، وجاء في الحكاية أنَّ عبدَ الله بنَ شدّاد قال يوماً لابنه : يا بُنَيَّ إذا سَمِعتَ كلمةً من حاسد ، فكُن كأنَّكَ ليس بالشاهد؛ فإنكَ إن أمْضَيْتَها على حِيالها ، رَجَع العَيبُ على مَن قالها ؛ وكُن كما قال حاتِمٌ :

وما مِن شِيمتي شَتْمُ ابنِ عَمّي ... وما أنا مُخْلِفٌ مَن يَرْتَجِيني
سَأَمْنَحُهُ على العِلاّت حتى ... أرَى ماوِيَّ أنْ لا تَشْتكيني
وكِلْمَةِ حاسِدٍ مِن غيرِ جُرْمٍ ... سَمِعْتُ وقلتُ مُرِّي فانْفُذِيني

قبل أن نفترق

«العناد» هو ما أربك السير في مفترق مستشفى 7 أكتوبر، وليس الزحام كما هي العادة دائماً، الاشارة الضوئية مثلنا مثلها لا تعمل والرؤوس مقفلة.

لا أحد يقرر أن يتنازل، وربما هذا ما جعلنا في المنحدر، فلو فكر المتشابكون أن خطوة إلى الوراء هي خلاصهم وخلاصنا من سطوة الشمس والانتظار، لما انتظرنا .

رحاب شنيب

أيام زمان

شهادة صحيفة سويسرية على زمنٍ قتلناه قبل أن يبدأ .

أكبر الدول المتكاملة النجاح

زيارة الرئيس عبد الحميد البكوش لتونس كانت كسبا للبلدين نحو التعاون المثمر في جميع المجالات

الحقيقة

AL HAKIKA

Qies

(ولا تعليق)

وطن الثقافة
وثقافة الوطن

مجلة الليبي